وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ / الدراسات العليا

أدب النصح وأثره في الحياة السياسية في العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٤٧هـ) "دراسة تاريخية"

أطروحة مقدمة

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة ديالى ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي

من قبل الطالب
جعفر إبراهيم عباس آل خاطر الجوراني

بإشراف :
أ.د. سميعة عزيز محمود

١٤٤٢هـ ٢٠٢٠م

الفصل الأول
مفاهيم النصح ودلالاته

١- مفهوم النصح لغةً واصطلاحًا :

أ- النصح لغةً :

إن كلمة النصيحة هي مصدر نصح بضم النون ، وقالوا إن النصيحة هي اسم مصدر ، والنصح مصدر لها ، هما في اللغة بمعنى التصفية والإخلاص من : نصحت له العمل والقول أخلصته ، وقد تأتي نَصَحَ بفتح النون والصاد والحاء فعلًا بحسب موقعها من الجملة ، وكلمة النصح التي وردت في العنوان (أدب النُصْح) بضم النون وسكون الصاد هي بمثابة مصدر[١] . وهنا تكون : "النون والصاد والحاء أصل يدل على ملائمة بين شيئين وإصلاح لهما . أصل ذلك الناصح : الخياط ، والنصاح خيط يخاط به ، والجمع نصاحات، وقميص منصوح : مخيط"[٢] . النصيحة في اللغة تاتي في معاني كثيرة ومتعددة منها : نصحته وأنصحه أو أنصح له ، وناصح الجيب ، هو مثل من وصف بخلوص العمل. والتوبة النصوح ، كأنها صحيحة لا خرق فيها ولا ثلمة، ويقال : "أنصحت الإبل إذا أرويتها فنصحت : أي رويت ، وناصح العسل : ماذَّيه[٣] ، كأنه الخالص الذي لا يتخلله ما يشوبه"[٤] . أي : كتصفية العسل من الشمع وغيره ليكون خالصًا .

---

(١) التهانوي ، محمد بن علي بن محمد الفاروقي (ت بعد ١١٥٨هـ/بعد ١٧٤٥م)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تح : علي دحروج ، ط١ ، (بيروت، مكتبة لبنان ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م): ٢/ ١٧٠١ .

(٢) الأزهري ، محمد بن أحمد الهروي (ت٣٧٠هـ/٩٨٠م) ، تهذيب اللغة ، تح : محمد عوض مرعب، ط١ ، (بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) : ٤/ ١٤ ؛ ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م) ، معجم مقاييس اللغة ، تح : عبد السلام محمد هارون، (بيروت ، دار الفكر ، ١٣٦٩هـ - ١٩٤٩م) : ٥/ ٤٣٥ .

(٣) ماذية : يسمى العسل ماذيًا لاسترخائه ولينه . ابن السكيت ، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت٢٤٤هـ/٨٥٨م)، كتاب الألفاظ ، تح: فخر الدين قباوة ، ط١ ، (بيروت، مكتبة لبنان ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م) : ٢٧٦ ؛ ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت٣٢١هـ/٩٣٣م) ، جمهرة اللغة، تح : رمزي منير بعلبكي ، ط١ ،(بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) : ٢/ ٧٠٣ .

(٤) ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م) ، المحكم والمحيط الأعظم ، تح : عبد الحميد هنداوي ، ط١ ،(بيروت ، دار الكتب العلمية ،١٤٢١هـ-٢٠٠٠م) : ٣/ ١٥٧ .

والنصاحة كما بيّنا تعني : "إخلاص العمل ، والناصح : الخالص من كل شيء"[١] ، واشتق من النصح كما تقدم نصح له ونصحه ، ينصح نصحًا ونصوحًا، ونصاحة ونصاحية. كما جاء في التنزيل الحكيم: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [٢]، قال النابغة[٣]:

"نصحت بني عوف[٤] فلم يتقبلوا رسولي ولم تنجح لديهم وسائلي" [٥]

ورجل ناصح الجيب : يعني نقي الصدر سليم النية ، وتقال لمن لا غش فيه ، فيقال: طاهر الثوب ، وكلها أمثال عند العرب ، قال النابغة :

"أبلغ الحارث بن هند[٦] بأني ناصح الجيب باذل للثواب" [٧]

ونصحَ الشيء إذا خلص ، فيكون الناصح الخالص من الأشياء كالشوائب ، كالعسل وغيره ، "وكل شيء خلص فقد نصح" [٨] .

---

(١) الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي(ت٣٨٨هـ/٩٩٨م)، غريب الحديث، ح : حاتم الضامن ، ط٢ ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) : ٢/ ٩٣ .

(٢) سورة الأعراف : ٦٢ .

(٣) النابغة : هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني المضري ، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز توفي سنة (١٨ قبل الهجرة/٦٠٥م) . ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد الأربلي (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح : إحسان عباس، (بيروت ، دار صادر، د.ت) : ١/ ١٩٥ .

(٤) بنو عوف: والنسبة إليهم (العوفي) بفتح العين وسكون الواو ، هذه نسبة إلى عوف وهم جماعة من قبائل اليمن، ومنهم الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف (ﷺ) وغيره. السمعاني ، عبد الكريم بن محمد بن منصور المروزي (ت٥٦٢هـ/١١٦٦م) ، الأنساب ، تح : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ط١، (حيدرآباد ، دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) : ٩/٤٠٤ .

(٥) ابن الشجري ، ابو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة (٥٤٢هـ/١١٤٧م) ، امالي ابن الشجري ، تح: محمود محمد الطناحي ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٤١٣هـ/١٩٩١م) : ١٢٩/٢

(٦) الحارث بن هند : لم اتمكن من العثور عن أي معلومات وافية عنه .

(٧) ابن سيدة ، المحكم : ١٥٧/٣ .

(٨) ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الأفريقي (ت٧١١هـ/١٣١١م) ، لسان العرب، ط٣ ، (بيروت ، دار صادر ، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م) : ٦/ ٤٤٣٨ .

ومن يقول : إنتصح كتاب الله تعالى : بمعنى : إقبل نصحه ، وقولهم : نصح الغيث البلاد : أي جادها وأحياها ووصل نبتها حتى أنها توصف بأرض منصوحة ، وإذا أتم الخياط الثوب ولم يترك فيه فتقًا ولا خللًا يقال : نصح الخياط الثوب وشبه ذلك بالنصح[١] ، ويقال لناصح القوم : النصيح ، وإذا قبل فلان النصيحة فقد انتصح ، كما يقال : إنتصحني فإني لك ناصح ، ومن تنصح فقد تشبه بالنصحاء ، وإذا استنصحه فقد عده نصيحًا[٢] . وقيل الناصح نصاحًا وجمعها نصح[٣] ، وغالبًا ما يكون المفعول نصوح (للمتعدي) [٤] .

ومما قيل في النصح : "النصح مجان فمن شاء قبل ... ومن أبى لا شك يخسر ويضل" [٥] .

ب- النصح اصطلاحًا :

ولعل ان خير ما عبر به عن معنى النصيحة اصطلاحًا هو : "ان النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ، هي إرادة الخير للمنصوح له ، وليس يمكن أن يعبر هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناه غيرها" [٦] .

ويكون القول قد اختزل موضوع النصيحة واصطلاحها بكلمات قلائل تغني عن الشرح والسرد الطويل بان لنا فيها ان لب موضوع النصح وجوهره هو ان القصد من إسداء

---

(١) الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م)،اساس البلاغة ، تح : محمد باسل عيون السود، ط١ ، (بيروت، دار الكتب العلمية ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م) : ٢/٢٧٥.

(٢) الرازي ، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت بعد ٦٦٦هـ/بعد ١٢٦٨م) ، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد ، ط٥ ، (بيروت ، المكتبة العصرية ،١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) : ٣١١.

(٣) ابن دريد ، جمهرة اللغة : ٥٤٤ ؛ ابن منظور ، لسان العرب : ٦/ ٤٤٣٩ .

(٤) مختار ، احمد مختار عبد الحميد عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، ط١ ، (بيروت ، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م) : ٣/ ٢٢١٤ .

(٥) الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد البصري (ت١٧٠هـ/٧٨٦م) ، كتاب العين ، تح: مهدي المخزومي وآخرون ، (القاهرة ، دار ومكتبة الهلال ، د.ت) : ٣/ ١١٩ .

(٦) مجد الدين ابن الأثير ، أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري (ت٦٠٦هـ/١٢١٠م)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر احمد الزاوي ، (بيروت ، المكتبة العلمية ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م): ٥/ ٦٣ .

النصائح بصورة عامة ، ما هو إلا ابتغاء البر والخير والصلاح للمنصوح ، وقد أكد الدين الإسلامي على شرف أعمال البر والخير ، وهذا ما سوف نتطرق له في كلامنا عن النصح في القرآن والسنّة النبوية .

والنصيحة دعوة كاملة لكل زمان ومكان ، وهي ابتعاد عن الفساد ، وهي تذكير وتحذير ، وهي تقويم وتنوير[١] ، وإرشاد وصدق نية . "وحقيقة النصح الإرشاد إلى المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه"[٢] . ويبدو أن النصيحة الهادفة لا تصدر إلا من قلب خالص مخلص خالي من الغش والرياء ، لذا فقد قيل : "جماع تفسير النصيحة هو عناية القلب للمنصوح ، كائنًا من كان" [٣] . وإن النصح هو عبارة عن : "تحري فعل أو قول فيه صلاح صاحبه" [٤] .

٢- مرادفات النصح :

بعد الاطلاع على معاجم اللغة العربية تبين أن هنالك كلمات تتداخل وأخرى تتقاطع مع كلمة النصح ، ولكل كلمة خصوصية ومعنى يميزها عن غيرها ، ولكنها تصب في السياق والمعنى العام للنصح .

لذا سنتطرق إلى أهم تلك الكلمات ونعرف بها بشكل موجز ، كونها سترد في مواقع متعددة من فصول الأطروحة كبديل لكلمة نصح ، كما وردت في المصادر العربية المختلفة:

---

(١) الجرجاني ، علي بن محمد بن علي (ت٨١٩هـ/١٤١٣م) ، كتاب التعريفات ، تح : إبراهيم الأبياري ، (بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٥هـ-١٩٩٤م) : ٣٦٠ .

(٢) ابن عادل الدمشقي ، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي النعماني (ت٧٧٥هـ/١٣٧٣م) ، اللباب في علوم الكتاب ، تح : عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، ط١ ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م) : ٩/ ١٨١ .

(٣) ابن رجب الحنبلي ، زين الدين بن عبد الرحمن بن احمد (ت٧٩٥هـ/١٣٩٢م) ، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم ، تح : شعيب الأرناؤوط وآخرون ، ط٧ ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) : ١/ ٢٢٠ .

(٤) الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م) ، المفردات في غريب القرآن، تح : صفوان عدنان الداودي ، ط١ ، (دمشق ، دار القلم ، ١٤١٢هـ-١٩٩١م) : ١/ ٨٠٨ .

أ- وعظ :

إن كلمة وعظ هي تذكير الناس بالخير ونحوه مما يرق له القلب . فمن الوعظ: العظة : كقولك : "وعظت الرجل أعظه[١] عظة وموعظة : وإتعظ : تقبل العظة ومن امثالهم: لا تعظيني وتعظعظي ، أي إتعظي أنت ودعي موعظتي" [٢] . ويقال لمن يقوم بالوعظ : "واعظ ، وجمعه : وعاظ وواعظون" [٣] . فالوعظ إذا هو : "النصح والتذكير بالعواقب ، يقال : السعيد من وعظ بغيره ، والشقي من إتعظ به غيره"[٤] . والوعظ هو التذكير بالخير والحق على الوجه الذي يرق له القلب ويبعث على العمل[٥].

نرى مما تقدم ان كلمة وعظ تكاد تكون أقرب الكلمات المرادفة لكلمة نصح وتتداخل معها من حيث المعنى بشكل كبير ، كونها تدل على عمل الخير والتحذير ، مما يؤدي إلى سوء العاقبة في الآخرة ، بينما يكون تركيز النصح وتذكيره بأمور الدنيا وصلاحها والآخرة وفلاحها ، فهو نظر بأمور الدنيا وصلاحها والتنبيه على درء مفاسدها وتوجيه سياستها لما فيه نفع الدنيا والآخرة . وهو اصلاح للناس وتهذيب لسلوكهم في ضوء ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة والخضوع لأوامر الله تعالى واجتناب نواهيه[٦] .

---

(١) ابو حيان الأندلسي ، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي (ت٧٤٥هـ/١٣٤٤م) ، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب ، تح : سمير المجذوب ، ط١ ، (بيروت ، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) : ٢١٧ ؛ ابن المبرد ، أبو المحاسن يوسف بن الحسن الدمشقي الصالحي (ت٩٠٩هـ/١٥٠٣م) ، الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي ، تح : رضوان مختار بن غريبة ، ط١ ، (جدة ، دار المجتمع للنشر ، ١٤١١هـ/١٩٩١م) : ٢/ ٢٧٠ .

(٢) الفراهيدي ، العين : ٢/ ٤٢٨ .

(٣) ابن المبرد ، الدر النقي : ٢٧٠ .

(٤) : ٢/ ١١٨١ .

(٥) رشيد رضا ، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد الحسيني القلموني (ت١٣٥٤هـ/١٩٣٥م) ، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، (مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤١١هـ/١٩٩٠م): ٢/٣٢١.

(٦) الطرطوشي ، أبو بكر محمد بن محمد الفهري (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م) ، سراج الملوك ، (القاهرة ، أوائل المطبوعات العربية ، ١٢٨٩هـ-١٨٧٢م) : ١٤٩ ؛ الصميدعي ، خولة محمود محمد علي ، الوعظ الديني في العصر العباسي الأول – دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير منشورة ، (الموصل ، جامعة الموصل – كلية الآداب ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م) : ٨ .

ب- المشورة :

إن كلمة مشورة هي الأخرى تتداخل بشكل كبير مع كلمة النصح في كثير من استعمالاتها .

والمشورة في اللغة: هي اسم والمصدر أشار يشير إذا ما وجه الرأي ، فيقال : فلان جيد المشورة ، وأشار الرجل يشير إشارة ، إذا أوحى بيديه . وإذا كان الشخص حسن الهيئة واللباس ، يقال : فلان حسن الشورة أو الشارة ، والمشورة مفعلة اشتقت من الإشارة[١] .

ت- إرشاد :

وكذا فإن كلمة إرشاد توحي لسامعيها بالنصح والهداية إلى طريق الحق والحياد عن طريق الضلال وأصلها : " الراء والشين والدال ، فمن يقول : قد رشدت : أي وفقت للصواب وهديت ، ومنها إرشاد الضال ، أي هدايته للطريق ، يقال منه : رشد يرشد رشدًا ورشد يرشد رشدًا ورشادًا" [٢] .

٣- الفرق بين النصح وكل من (التعيير والغيبة) :

هناك كلمات أخرى غير التي ذكرناها فيما تقدم تتقاطع مع كلمة النصح ، يمكن أن نعدها من أضدادها ، لوجود فارق كبير بين معناها وغرضها وبين غرض النصح ومعناه، منها :

أ- التعيير :

تشترك كلمة (تعيير) مع كلمة (نصح) في شيء واحد هو أن ذكرهما مكروه إلى نفس الإنسان ، وهذا ما يشكل عند كثير من الناس ، إن ذكر الإنسان بما يكره محرم : "إذا كان ما يكره محرم ، إذا كان المقصود منه مجرد الذم والعيب والنقص . أمّا إذا كان فيه مصلحة لعامة المسلمين خاصة لبعضهم وكان المقصود منه تحصيل تلك المصلحة فليس بمحرم بل مندوب إليه" [٣] .

---

(١) ينظر : الأزهري ، تهذيب اللغة : ١١/ ٢٧٧-٢٧٨ .

(٢) القاضي عياض ، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون السبتي (ت٥٤٤هـ/١١٤٩م) ، مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، (بيروت ، المكتبة العتيقة ودار الآثار ، د.ت) : ١/٣٠٠ .

(٣) ابن رجب الحنبلي ، الفرق بين النصيحة والتعيير ، تح : علي حسن علي ، ط٢ ، (عمان ، دار عمان ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م) : ٩ .

فالنصح أن تخبر أحدًا بعيب ليتجنبه كان ذلك حسنًا لمن أخبر بعيب من عيوبه ، قيل لبعض السلف : "أتحب أن يخبرك أحد بعيوبك ؟ فقال : إن كان يريد أن يوبخني فلا"[١]. فالتوبيخ بالذنب مذموم عندهم وغير محبب وهو تعيير بخلاف النصح الذي يعد إصلاح وتقويم . وقد عبر عن هذا المعنى العالم الجليل الفضيل بن عياض[٢] ، بقوله : "المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير" [٣] . من هذا القول نستدل على إمارات النصح والتعيير ، فالنصح مقرون بالستر ، والتعيير مقرون بالفضح والإعلان ، لذا كان يقال : "من أمر أخاه على رؤوس الملأ فقد عيره"[٤] .

لأجل هذا كان السلف يكرهون حتى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كان على هذا الوجه ، بل يحبون أن يكون ذلك سرًا بين الناصح والمنصوح ، وهذا من إمارات النصح وعلاماته ، فإن من ينصح ليس له مصلحة في إشاعة عيوب المنصوح ، وإنما لغرض إزالة المفسدة التي شخصها فيه . قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٥] .

فإن إشاعة الفاحشة تقترن بالتعيير وهي من صفات الفجار ، لأن الفجار لا مصلحة لهم في انتفاء المفاسد وزوالها ، وإنما غرضهم مجرد إشاعة العيوب عن الناس وهتك أعراضهم بقصد الانتقاص منهم بإظهار عيوبهم ومساوئهم والحاق الضرر بهم[٦].

أما غرض النصاح فهو بالضد من غرض الفجار ، فغرضهم هو إزالة عيوب الناس ودرئ الضرر عنهم وعدم إلحاق الفضائح بهم . فشتان ما بين من كان قصده النصح وبين

---

(١) ابن رجب الحنبلي ، الفرق بين النصيحة والتعيير : ٩ .

(٢) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الطالقاني الأصل ، الزاهد المشهور كان أول أمره شاطرًا يقطع الطريق ، تاب وصار من كبار العباد الصلحاء ، كان ثقة في الحديث ، صار شيخ الحرم المكي ، أخذ عنه الشافعي وخلق غيره ، توفي في مكة سنة (١٨٧هـ/٨٠٣م). ابن خلكان ، وفيات : ٤٧/٤ .

(٣) ابن رجب الحنبلي ، الفرق بين النصيحة والتعيير : ٩ .

(٤) المصدر نفسه : ٩ .

(٥) سورة النور : ١٩ .

(٦) ابن رجب الحنبلي ، الفرق بين النصح والتعيير : ١٠ .

من كان قصده الفضيحة[١] . لهذا قد يتخذ أصحاب القلوب المريضة من النصيحة غرضًا وذريعة إلى التعيير والانتقاص من الآخرين . وحتى إن أهل اللغة قد عرفوا (التعيير) على أنه : "التوبيخ ، وهي من العار ، والعار : السبة ، والعيب ، وهو الانتقاص بنسبة القبائح إليه ، فهو إظهار السوء والقبح وإشاعته في قالب النصح" [٢] .

ولعل أبلغ ما قيل في النصح من شعر هو قول الإمام الشافعي (رحمه الله)[٣] عن النصح في السر والستر وتجنب فضح المنصوح ؛ لأن ذلك يعد نوع من التعيير :

"تعمدني بنصحك في انفـرادي وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نـــوع من التوبيخ لا أرضى استماعـه
وإن خالفتني وعصيت قولـــي فلا تجزع إذا لم تعط طاعـــة"[٤]

والنصح في السر أنجع[٥] لقوله الله تعالى : ﴿ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴾[٦].

---

(١) ابن رجب الحنبلي ، الفرق بين النصح والتعيير : ١٠ ؛ السفاريني ، محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي (ت١١٨٨هـ/١٧٧٤م) ، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ، تح : محمد عبد العزيز الخالدي ، ط٢، (بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) : ٨٥ .

(٢) الرازي ، مختار : ٢٢٢ ؛ ابن منظور ، لسان العرب : ٣١٣٢/٤ .

(٣) الشافعي : هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ولد في غزة وقيل باليمن ، وحمل إلى مكة فسكنها وتردد إلى الحجاز والعراق ثم استوطن مصر حتى توفي بها ، وروى عن مالك وابن عيينه والفضيل بن عياض وجماعة غيرهم ، حفظ الموطأ ، وفي مكة أنشد الأشعار وتعلم آداب العرب وأيامهم ، عالم العصر ، فقيه ، مفتي مكة وتأهل للإمامة ، صنف التصانيف ، ودون العلم ، أخذ الكثير من العلماء عنه العلم ، توفي سنة (٢٠٤هـ/٨١٩م) . ابن خلكان ، وفيات : ١٦٥/٤ .

(٤) ديوان الشافعي ، تح : محمد إبراهيم سليم ، (د.م ، مكتبة ابن سينا ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م) : ٦٣ .

(٥) الشربيني ، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب (ت٩٧٧هـ/١٥٦٩م) ، السراج المنير ، (القاهرة ، مطبعة بولاق ، ١٢٨٥هـ-١٨٦٨م) : ٣١٣/١ .

(٦) سورة النساء : ٦٣ .

ب- الفرق بين النصح والغيبة :

عرف علماء اللغة ، الغيبة : بكسر الغين : "إن تذكر أخاك بما يكرهه فإن كان فيه فقد اغتبته وإلا فقد بهته ، أي قلت عليه ما لم يفعله . ومن أحسن تعاريفها : ذكر العيب بظهر الغيب" (١) .

وهذا الكلام مصداقا لما بيّنه الرسول الكريم (ﷺ) عن أمر الغيبة فقال : "أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذكرك أخاك بما يكره ، وقيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ، قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته" (٢) . وقد جسد العلماء هذا الحديث الشريف بقولهم : "الغيبة ذكر المرء بما يكره سواء كان ذلك في بدن الشخص ، أو دينه أو دنياه ، أو نفسه ، أو خلقه أو ماله ، أو ولده ، أو زوجته ، أو خادمه ، أو ثوبه ، أو حركته ، أو طلاقته ، أو عبوسته ، أو غير ذلك مما يتعلق به ، سواء ذكرته باللفظ أو بالإشارة والرمز"(٣) ، ثم قالوا : "لا خلاف إن الغيبة من الكبائر ، وإن من اغتاب أحد عليه أن يتوب إلى الله عز وجل" (٤) .

وهذا هو الذي يشكل الفارق بين النصيحة وبين الغيبة ، كون النصح إصلاح وتقويم، ولا يراد بها إفساد أو إذلال أو انتقاص من الناس كما في الغيبة والنميمة . لذا فقد أجمع العلماء على تحريم الغيبة والنميمة "في غير النصيحة الواجبة ، وفيه دليل على أنها احدى الكبائر"(٥) ، وعليه فيجب التفريق بين النصيحة والغيبة والنميمة كونها من أعمال المفسدين، والنصيحة من اعمال المصلحين(٦) .

---

(١) المناوي ، محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي (ت١٠٣١هـ/١٦٢٢م) ، التوقيف على مهمات التعاريف ، ط١ ، (القاهرة ، عالم الكتب ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م) : ٢٥٤ .

(٢) مسلم ، ابو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ/٨٧٤م)، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار احياء التراث العربي، د.ت)، باب تحريم الغيبة، رقم (٢٥٨٩): ٢٠٠١/٤.

(٣) القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري (ت٦٧١هـ/١٢٧٢م) ، الجامع لأحكام القرآن ، تح : هشام سمير البخاري ،(الرياض ، دار عالم الكتب ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٣م) : ٢٣٤/٤ .

(٤) المصدر نفسه : ٢٣٤/٤ .

(٥) النجدي ، أبو سليمان محمد بن عبد الله بن محمد (ت١٢٢٣هـ/١٨٠٨م) ، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، تح : زهير الشاويش ، ط١ ، (بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) : ٣٤٥/١ .

(٦) المصدر نفسه : ٥٤٠ .

٤- آداب النصح وشروطه :

أ- آداب النصح :

النصيحة من المعالم البارزة في إطار الأخوة الإسلامية ، وهي دليل على الإحسان وكمال الإيمان ، وهذا هو الحافز والدافع على النصح ، وتكون النصيحة للمسلمين عامة : "إرشادهم إلى مصالحهم" (١) .

وهنالك آداب عامة يجب على الناصح أن يتحلى بها :

١- ان يكون محبة الخير والصلاح دافعًا له في نصحه لأخيه ، ومحاولة دفع الشر والمفاسد عنه(٢) .

٢- ان يؤثر محبة الناس على محبة ذاته ، وأن يكره لنفسه ما يكره لهم . وأن يشاركهم مشاعرهم ، ويشاركهم في الدفاع عن أوطانهم وينصرهم عملًا بالنصيحة : "فالنصيحة كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجود الخير إرادة وفعلًا"(٣) . كما مر بنا في تعريف مصطلح النصح فيما تقدم .

٣- أن يكون الناصح مخلصًا في نصيحته ابتغاء لوجه الله تعالى(٤) .

٤- أن لا يقصد من وراء نصيحته الفضح والتعيير للمنصوح(٥) .

٥- ان تكون نصيحته خالصة لا يشوبها غش ولا غرور ولا خيانة(٦) .

٦- أن يتسلح الناصح بالعلم ، فقد نصح ملك من ملوك اليمن ولي عهده بقوله : "إتق من فوقك يتقك من تحتك وكما تحب أن يفعل بك فافعل برعيتك وانظر كل حسن فافعله واستكثر من مثله وكل قبيح فارفضه بالنصحاء يستبين لك ذلك وخيرهم أهل

---

(١) مجد الدين ابن الاثير ، النهاية : ٤٤٢/٥ .

(٢) ابن رجب الحنبلي ، جامع العلوم : ٨٠ .

(٣) المصدر نفسه : ٨٠ .

(٤) ابن باز ، عبد العزيز بن عبد الله ، مجموع فتاوى ، تح : محمد بن سعد الشويعر، (المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، د.ت): ٩٠/٥.

(٥) ابن رجب الحنبلي ، الفرق بين النصيحة والتعيير : ٧-٩ .

(٦) ابن باز ، مجموع فتاوى : ٩٠/٥ .

الدين وأهل النظر في العواقب ، واستكثر من العلم فإنه أساس التدبير وما ليس له أساس فمهدوم" [١] .

وأن ينصح بالرفق واللين ، عملًا بقول الله تعالى معلمًا لنا ولرسوله الكريم (ﷺ): ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [٢] . وأن يدعم كلامه بالأدلة من غير جدال[٣] .

٧- أن لا تكون النصيحة أمام الملأ وإلا عدت تعييرًا[٤] . مع مراعاة مشاعر المنصوح وفضحه سرًا[٥] . إلا إذا كان في التصريح تحقيق مصلحة عامة[٦] .

٨- الصبر على الأذى جراء النصح ، واختيار العبارات اللطيفة ، وعدم إثارة الشكوك واختيار الأوقات المناسبة للنصح . وهذا يجسد قول الصحابي الجليل ابن مسعود[٧]: "إن لهذه القلوب شهوة وإقبالًا ، وإن لها فترة وإدبارًا ، فخذوها عند شهوتها وإقبالها ، وذروها عند فترتها وإدبارها" [٨] .

---

(١) الشيرزي ، أبو النجيب عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله العدوي (ت٥٩٠هـ/١١٩٣م) ، المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تح : علي عبد الله الموسى ، (الزرقاء ، مكتبة المنار ، د.ت) : ١٨٠ .

(٢) سورة النحل : ١٢٥ .

(٣) السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تح : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، ط١ ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م) : ٤٥٢ .

(٤) ابن حزم ، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) ، الأخلاق والسير ، تح : عادل أبو المعاطي ، ط١ ، (القاهرة ، دار المشرق العربي ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) : ٤٥ .

(٥) ابن رجب الحنبلي ، جامع العلوم : ٢٣٦/١ .

(٦) ابن رجب ، الفرق بين النصيحة والتعيير : ٧ .

(٧) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ، الإمام الحبر ، فقيه الأمة ، المكي ، المهاجري شهد بدر وهاجر الهجرتين ومناقبه غزيرة ، روى علماً كثيرًا ، روى عنه الكثير من الصحابة والتابعين ، مات سنة (٣٢هـ/٦٥٢م). ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار ، تح : مرزوق علي إبراهيم، ط١، (المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٤١١هـ-١٩٩١م): ٢٩؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت٧٤٨هـ/١٣٧٤م) ، سير أعلام النبلاء ، تح : شعيب الأرناؤوط ، ط٣ ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) : ٤٦٢/١ .

(٨) ابن المبارك ، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي (ت١٨١هـ/٧٩٧م) ، الزهد والرقاق، تح : حبيب الرحمن الأعظمي ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، د.ت) : ١٧٣.

٩- أن يكون الناصح قدوة للمنصوح وأن يكون عاملًا بكل ما يقول ويأمر ، وأكثر شيء يجب مراعاته من قبل الناصح هو أن لا يكون هدفه الشهرة والرياء والسمعة ، وتجريح المنصوح والانتقاص منه[١] .

وللناصحين في رسل الله تعالى وأنبياءه أسوة حسنة ، فعلمنا من خلالهم أسلوب اللين في التعامل مع الحكام: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾[٢]. فمن الحكمة أن يتلطف الناصح مع ذوي الجاه والسلطة من الناس ، لأنه تعالى جعل حاجات الناس إليهم . وخير مثال على ذلك قول حكيم لملك من الملوك قديما : "أيها الملك، إن نصيحتك واجبة في الصغير الحقير ، والكبير الخطير ، ولولا الثقة بفضيلة رأيك ، واحتمالك ما يسوء موقعه من الأسماء والقلوب في جنب صلاح العامة وتآلف الخاصة ، لكان خرقًا مني أن أقول ، ولكنا إذا رجعنا إلى أن بقاءنا موصول ببقائك ، وأنفسنا متعلقة بنفسك ، لم نجد بدًا من أداء الحق إليك ، وإن أنت لم تسلني ذلك ، فإنه يقال : من كتم السلطان نصيحته ، والأطباء مرضه ، والإخوان بثه ، فقد أخل بنفسه . وأنا أعلم إن كل ما كان من كلام يكرهه سامعه لا يتشجع عليه قائله ، إلا أن يثق بعقل المقول له ذلك ، فإنه إذا كان عاقلًا احتمل ذلك ؛ لأن ما كان فيه من نفع فهو للسامع دون القائل . وإنك أيها الملك ذو فضيلة في الرأي ، وتصرف في العلم ، ويشجعني ذلك على أن أخبرك بما تكره ، واثقًا بمعرفتك نصيحتي لك وإيثاري إياك على نفسي" [٣] . فيجب على من يرافق السلطان ويصحبه أن لا يبخل عليه بنصيحته ويكتمها عنه ، وليكن أسلوبه في النصح برفق ، وليكن بصيغة غير مباشرة إن كان فيه عيب أو تجريح عن طريق ضرب الأمثال عن عيوب غيره ليعرف من خلالها عيبه[٤] .

---

(١) المنجد ، محمد صالح ، آداب النصيحة ، بحث منشور ، أنترنيت – غوغل ، بتاريخ: ٢٠١٥/٢/٦م : Islamqa.info/ar/answers/22560

(٢) سورة طه ، ٤٣-٤٤ .

(٣) ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت٣٢٨هـ/٩٤٠م)، العقد الفريد ، ط١ ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م) : ١٢/١ .

(٤) الجاحظ ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء (ت٢٥٥هـ/٨٦٩م) ، البيان والتبيين ، (بيروت ، دار ومكتبة الهلال ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) : ٢٦٢/١ .

ويحكى إن الإمام الزهري[١] دخل يومًا على الخليفة الأموي السادس الوليد بن عبد الملك (٨٦- ٩٦هـ/٧٠٥-٧١٤م) ناصحًا ، فقال له : "ما حديث يحدثنا به أهل الشام ؟ قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: يحدثوننا أن إذا استرعى عبدًا رعية كتب له الحسنات ولم يكتب له السيئات . قال : باطل يا أمير المؤمنين ، أنبي خليفة أكرم على الله أم خليفة غير نبي؟ قال : نبي خليفة . قال : فإن الله تعالى يقول لنبيه داود (عليه السلام) : ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾[٢] ، فهذا يا أمير المؤمنين وعيده لنبي خليفة فما ظنك بخليفة غير نبي ، قال : إن الناس ليعروننا عن ديننا"[٣]. وهذا ما يوجب على الناصح أن لا يداهن للسلطان على حساب الحق ، حتى وإن تحلى بالرفق واللين في نصحه له .

وعلى الناصح أن يحذر بعد إبداءه النصح أن يبين أنه صاحب فضل ومنة على المنصوح حتى لا يفقد صلته به ويذهب جهده هباءً ، مع تجنبه للشماتة والغرور والتعيير والتأنيب ، والصبر على تحمل نتائج ذلك كله ، وأن لا يعتد بنفسه بعد النصح ويصيبه الكبر والخيلاء[٤] .

تبين لنا مما تقدم أن للنصح آدابًا وشروطًا يجب التحلي والالتزام بها من قبل الناصح لكي يكون نصحه مقبولًا ومهضومًا من لدن المنصوحين ، وهذا ما جعلنا نضيف مفردة أدب إلى مصطلح النصح في عنوان اطروحتنا .

---

(١) محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري ، من بني زهرة من قريش ، أول من دون الحديث ، أحد كبار الفقهاء ، تابعي ، من أهل المدينة ، أمر عمر بن عبد العزيز عماله أن عليكم بالزهري فلا تجدون أعلم منه بالسنة ، توفي سنة (١٢٤هـ/٧٤٢م) . ابن حبان ، مشاهير علماء : ١٠٩ ؛ ابن خلكان ، وفيات : ١٧٧/٤ .

(٢) سورة ص : ٢٦ .

(٣) النويري ، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد القرشي البكري (ت٧٣٣هـ/٣٣٢م) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ط١ ، القاهرة ، (دار الكتب والوثائق القومية ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) : ١٣/٦ .

(٤) المصدر نفسه : ١٣/٦ .

كما أن هناك نصحا قد يقترن بالحسد والحقد والضغينة ، كالنصح الذي كان يقوم به أهل الكتاب أحيانًا عن طريق إلقاء الشبهات على الإسلام وتشكيك المسلمين فيه "من باب المكر والسوء ، فهذا حسد لا نصح كما يعتقد ، فقال تعالى : ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[1] ، من هنا يتبين أن حسدهم لم يكن عن شبهة دينية أو على حق يعتقدونه ، وإنما خبث النفوس وفساد الأخلاق والجمود على الباطل ، وإن ظهر لصاحبه الحق" [2] . فقال تعالى : ﴿حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم﴾[3] .

وهذا النصح الذي قام به أهل الكتاب كما تقدم لا يمت للنصح وآدابه بشيء ، وإنما هو غش هدفه التهديم والإفساد لا الإصلاح والخير . ومن هنا يتبين أن هناك من النصح مايراد به الغش ، وهذا بدوره ينعكس على أثر النصح في مجمل الجوانب الحياتية ، وبخاصة في الحياة السياسية ، وهذا ما سنراه في الفصول القادمة ، عند تتبعنا للنصح وأثره على الحياة السياسية في العصر العباسي الأول .

٥- النصح فقهًا وشرعًا :

للنصح أهمية في الشريعة الإسلامية فقد سماها النبي محمد (ﷺ) دينا ، وجعلها منهج حياة فيما بين المسلمين ولغير المسلمين فيما بعد ، وهذا ما سنتكلم عنه في موضوع النصح في السنة النبوية المشرفة ، فقد وضع النصح تحت إطار وشروط يراعى فيها حقوق الناس من المنصوحين وعدم التجاوز عليها كما بيّنا ذلك في شروط النصح وآدابه فيما تقدم.

وزيادة على ذلك فإن للنصح قواعدا وأحكاما في الشرع الإسلامي يجب مراعاتها من لدن الناصحين . وكما بيّنا في تعريفنا اللغوي والاصطلاحي للنصح ، فقد تبيّن من خلال ذلك إن المزج بين المعنيين يؤدي إلى أن المعنى العام له هو : تكميل للنقص وتخليص النفس البشرية من الشوائب .

---

(١) سورة البقرة : ١٠٥ .

(٢) رشيد رضا، تفسير المنار : ٣٤٦/١ .

(٣) سورة البقرة : ١٠٩ .

وحقيقة النصح في أمرين ، فهو تكميل للنقص وتصحيح للأخطاء ، والأمر الآخر إن حق من يقوم به في المقام الأول من وصف بالكمال الله تعالى ثم نبيه (ﷺ) ثم الأمثل[١].

- حكم النصح شرعًا :

هناك خلاف بين العلماء في حكم النصح وهم على ثلاثة أقوال :

١- إنه فرض عين : بمعنى أن النصح فرض على كل مسلم كما ذكر[٢] .

٢- إنه فرض كفاية : كما قيل : "والنصيحة فرض يجزي فيه من قام به ويسقط عن الباقين" بمعنى إذا قام به جماعة يسقط عن الباقين[٣] .

٣- إن النصح قد يكون فرضًا وقد يكون مستحبًا ، فالنصيحة المفروضة : "هي شدة عناية من الناصح بإتباع محبته لله تعالى في أداء ما افترض ، ومجانبة ما حرم"[٤].

وهناك نصح مستحب يتعبد به ، ابتغاء لوجه الله تعالى وابتغاءً لمرضاته .

"ولابد للمرء من المشاورة مع غيره في آراءه وتدبيره ، فينبغي أن يستودعها ذوو النبل وكبير الهمة وعزة النفس وذوو العقول والألباب فإن أمثالهم لا يذيعونها ، وأن يباشر في الأمور التي يستعان بمثلها على إحكام ذلك الرأي من الاستشارة والنظر في أخبار المتقدمين والاستماع إلى الأحاديث في السياسات اللائقة بذلك التدبير"[٥]، وفي هذا القول تأكيد على ضرورة تبادل المشاورة والنصيحة ، والاستعانة على ذلك بذوي العقول من الأعيان والعلماء والنصحاء المعروفين بصلاحهم وعزة نفسهم .

---

(١) ابن حزم ، رسائل ابن حزم الأندلسي ، تح : إحسان عباس ، ط٢ ، (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م) : ٥٦/٢ .

(٢) ابن حزم ، رسائل : ٥٦/٢ .

(٣) المباركفوري ، صفي الرحمن ، منة المنعم في شرح صحيح مسلم، ، ط١، (الرياض، دار السلام للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م) : ٣٩/٢ .

(٤) ابن رجب الحنبلي ، جامع العلوم : ١١١ .

(٥) الفارابي ، محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ (ت٣٣٩هـ/٩٥٠م) ، رسالة ضمن (مجموع في السياسة) ، تح : فؤاد عبد المنعم أحمد ، ط١ ، (الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، د.ت) : ٢٨.

فكان إجماع العلماء على ان إبداء النصح هو فرض كفاية إذا قام به جمع من الناس سقط عن الباقين[١] . وهو الراجح عندنا ، لأن شروط الناصح لا يمكن أن يتحلى بها جميع الناس ؛ لأنها إذا وجبت على الجميع فربما تكون مصدر إحراج ، فليس بمقدور الجميع القيام بهذا الواجب العسير ، وليس من السهل التعامل مع الناس خاصة في هذا المجال الذي يحتاج فيه إلى العلم والدراية كما بيّنا ذلك فيما تقدم . وهناك أوضاع مهمة يتعين بها النصح ، منها : النصح للسلطان في حال طلبه من مستشاريه وموظفيه ، وفي حال امتنع الجميع عن النصح ، وإذا قصر العلماء عن النصح ، وإذا انحسر النصح في أشخاص معينين ، وفي حال طلب الناس بأنفسهم النصح من الآخرين[٢] .

من كل ما تقدم نخلص إلى أن النصح له ثلاثة أركان أساسية وهي :

- "الناصح : وهو الذي ينصح غيره .
- المنصوح : وهو الذي ينصحه غيره .
- المنصوح به : وهو الأمر الذي ينصح به الناصح المنصوح" [٣] .

فضلاً عن ذلك فإن هناك عدة عوامل مؤثرة في قبول النصح ، أو قد تؤخر قبولها ، لذا مع وجود هذه المؤثرات في الغالب عند أكثر الحكام أو بدونها وجب تقديم النصح لهم لتحقيق الصلاح والاصلاح قدر الامكان وهي الغاية الأسمى للنصح ، ومن أهم تلك المؤثرات :

١- الالتزام بآداب النصح : لأن من راعى في النصح آدابه التي بيناها سابقًا ، يرجو قبول نصيحته .

٢- الخيلاء : والكبر : فإن الكبر آفة لا يمكن معها للمنصوح أن يقبل النصح كما وصفه النبي (ﷺ) : "بطر الحق وغمط الناس" [٤] .

---

(١) ابن حبان ، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م) : ٣١/١ ؛ النووي ، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف (ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، شرح الأربعين النووية في الأحاديث النبوية ، تأليف وشرح : ابن دقيق العبد محمد بن علي بن وهب القشيري ، ط٦ ، (د.م ، مؤسسة الريان ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م) : ٥٠ .

(٢) ابن رجب الحنبلي ، الفرق بين النصيحة والتعيير : ٧/١ ؛ الطريفي ، الجوهرة بنت صالح ، فقه النصيحة ، (د.م ، مكتبة نور ، د.ت) : ٦٠-٦١ .

(٣) ابن رجب الحنبلي ، جامع العلوم : ١١٤ .

(٤) النووي ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ط٢ ، (بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م) : ٨٩/٢ .

٣- العجب : اي الإعجاب بالنفس بالنسبة للناصح ، فلا يرجى قبول نصحه ؛ لأنه يرى انه أفضل من غيره رأيًا وشخصًا .

٤- النفس الصافية : لأن من رزق نفسًا صافية ، تكون نصيحته أقرب إلى قلوب الناس[١] .

وفي الغالب يترتب على النصح عدة نتائج ، منها : يصفي المنصوح مما علق به من شوائب الفساد والتدمير والشرور ، ويهدف إلى جعله إنسانًا خالصًا نظيفًا محبًا للخير والإصلاح ، ويعمل النصح على إدامة المحبة بين الناس ، وخاصة بين الناصح والمنصوح، ثم يعمل على أداء حق الأخوة الإنسانية قبل الدينية[٢] .

وإن استشعرت أن من تنصح لا يكترث لنصيحتك فاقطع نصحك وأخره إلى وقت فراغه وانتباهه إليك وإن لا يشغله شاغل ، فتكون النتيجة أرقى وايصال نصحك إليه أكثر نفعًا وفائدة ، وتجنى ثماره[٣] .

٦- أهمية النصح :

للنصح بين الناس أهمية كبرى كونه مطلب سلوكي وشرعي بهدف نشر الأخلاق السامية والفضيلة بين أبناء المجتمع ككل ، وهو أمر يدعو إلى نشر السلوك الإيجابي ، وبما أن الإسلام هو خاتم الأديان ، وهو يدعو إلى التشارك في كل شيء ، ويدعو الكل إلى تحمل مسؤولياتهم ، ونظرة الإسلام إلى النصح على انه وسيلة للكشف عن العلاقات الودية والحميمية بين أفراده وجماعاته رافعين شعار الأخوة الإسلامية والتحابب في الله تعالى ، فهذا المجتمع الإسلامي اتخذ له شعارًا ينبذ المتقاعسين فلا مكان لهم بين صفوفه ، إذ لكل فرد من أفراده عمله الذي يشعره بالواجب بتقويم سلوك اخوانه الآخرين من خلال النصح لهم[٤] .

---

(١) ابن حزم ، الأخلاق والسير : ٢١ ؛ ابن رجب ، الفرق بين النصيحة والتعيير : ٧/١ .

(٢) ابن حبان ، روضة العقلاء : ١٩٧ ؛ الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت٥٠٥هـ/١١١١م) ، إحياء علوم الدين ، (بيروت ، دار المعرفة ، د.ت) : ١٨٢/٢ .

(٣) ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا شرف الملك، الفيلسوف الرئيس (ت٤٢٨هـ/١٠٣٦م)، السياسة ، تح : فؤاد عبد المنعم أحمد ، ط١ ، (الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، د.ت) : ٩٢ .

(٤) النووي ، المنهاج شرح صحيح مسلم : ٣٧/٢ ؛ ابن رجب ، جامع العلوم : ٢١٠/١ .

ومن هنا برزت أهمية النصح في المجتمع الإسلامي عامة وإلى أولي الأمر خاصة ، فأولى القرآن الكريم والشرع الإسلامي تلك الأهمية البالغة للنصح في حياة المسلمين ، فكان يقال : أن النصح هو عماد الدين وقوامه وبهه يصح أمر العباد ، وبها يسود الرخاء والأمن في جميع البلاد[١] .

ولأهمية النصح ربط قدماء الفلاسفة بين ترك النصح وضعف البدن ، فقال الفيلسوف اليوناني أفلاطون : "خمس يذبن البدن وربما قتلن : قصر ذات اليد ، وفراق الأحبة ، وتجرع المكائد ، ورد النصح ، وضحك ذوي الجهل بالعقلاء" [٢] .

فحين تقول إنك نصحت فلان ، اي إنك قصدت مصلحته ومنفعته ، ومن هنا تبرز أهمية النصح لجميع الناس عامة والمسلمين منهم خاصة ، كون الإنسان بطبعه ضعيف ويعتريه النقص والخلل ، ومن هنا يتبين لنا اختلاف علماء الفقه في الحكم الشرعي للنصح أهي فرض عين أم فرض كفاية ، نظرًا للحاجة إليها من جميع أفراد المجتمع فإن تكليفها سيبقى مستمرًا حتى قيام الساعة ، كواجب من الواجبات الحتمية على الأفراد والجماعات[٣] . لهذا فإنها عدت كركن من أركان الإسلام ، مع إنها لا تذكر مع أركانه ، فمن أجل كل هذا عد النصح خلقًا من أخلاق الأنبياء والرسل بل هي لب دعوتهم وجوهرها ، فهم أنصح الخلق للخلق[٤] . "اعلم أن المشورة عين الهداية وسبيل الرشاد إلى الأمر وإيضاح المبهم من الرأي ومفتاح المغلق من الصواب ، وقد قال الله تعالى لنبيه محمد (ﷺ) : ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾[٥]"[٦] .

وبالنصح يقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كونه واقع حياة ، فهو أمر مهم ولا يجب إغفاله ، عملًا بالاهتمام بأمر المسلمين والحرص على تقويم منهجهم وحياتهم

---

(١) ابن حزم ، الأخلاق والسير : ٤٤ .

(٢) ابن مفلح ، محمد بن مفرج المقدسي (ت٧٦٣هـ/١٣٦١م) ، الآداب الشرعية والمنح المرعية ، (بيروت، عالم الكتب ، د.ت) : ٣٧٦/٢ .

(٣) النووي ، المنهاج : ٨٦/٢ ؛ ابن رجب الحنبلي ، جامع العلوم : ١١٤ .

(٤) الطرطوشي ، سراج الملوك : ٨٠ .

(٥) سورة آل عمران : ١٥٩ .

(٦) العدوي ، المنهج المسلوك : ٤٧٥ .

وتوجيههم نحو السبيل القويم ، كونها مفردة جامعة لكل معاني البر والخير والعمل الصالح ، وبها يصح المجتمع مما لحق به من أمراض الفساد وشوائبه وأدرانها، وبها الصلاح والإصلاح في كل زمان ومكان[١] ، بل حتى في الجاهلية قبل الإسلام كانت الخطب التي تلقى الكثير منها نصح وإرشاد ودعوة إلى السلم وحقن للدماء ، حين كانت الخطابة تعقد في الأسواق الموسمية ويفد إليها الملوك والأمراء ورؤساء القبائل وكبار التجار وصغارهم[٢] ، بل الأكثر من ذلك : "أنهم كانوا يسألون الأصنام النصح والإرشاد والأمر والنهي بفعل فعل أو تركه وقد خصص الصنم هبل بهذا النوع من الإرشاد" [٣] . مع إن هذا الأمر كان معنويًا إلا أنه كان يشكل فارقًا نفسيًا يشد به أزرهم في أكثر أعمالهم .

تبين لنا مما تقدم مدى أهمية النصح كدعوة للإصلاح والسلم ، وتنقية للنفوس من الحقد والغل والكبر والعجب والتعيير[٤] ، وفيها تقويم وإسناد ومعونة لأولي الأمر ، وهي لهم مسار ومنار لدعم سياستهم وحكمهم . وهي دعوة تتجدد في كل وقت وحين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فأكرم بها من دعوة وأنعم بها من عمل .

٧- النصح في القرآن الكريم :

كان القرآن الكريم ولا زال أفضل المصادر عن تلك العصور القديمة منذ بدء الخليقة حتى مبعث النبي محمد (ﷺ) ، فقد سرد لنا تاريخ الأمم في تلك العصور الغابرة من عهد آدم (عليه السلام) ومن تلاه من الأنبياء والرسل وقصصهم سردًا موجزًا وأحيانًا مفصلًا ، فهو يعد أقدم كتاب عربي مدون ، وبما أن دعوة الرسل والأنبياء هي عبارة عن نصح وإرشاد ليخرجوا أقوامهم من الظلمات إلى النور ، ومن الضلال إلى طريق الحق المستقيم ، كان النصح هو

---

(١) ابن الأزرق ، أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الأندلسي (ت٨٩٦هـ/١٤٩٠م) ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تح : علي سامي النشار ، ط١ ، (العراق ، وزارة الإعلام ، د.ت) : ٤٢٠/٢ .

(٢) علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط٤ ، (د.م ، دار الساقي ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) : ٤٠٥/١٦-٤١٠ ؛ برو ، توفيق ، تاريخ العرب القديم ، ط٢ ، (بيروت، دار الفكر ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) : ١٣٥ ؛ الملاح ، هاشم يحيى ، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط١ ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م) : ٣٩٣ .

(٣) علي ، المفصل : ٤١٠/١١ .

(٤) الطرطوشي ، سراج الملوك : ٥٦ .

لب وجوهر دعوتهم ، فهو قديم بقدم ابتداء البشرية ، وتبين لنا ذلك بعد اطلاعنا على الآيات الكريمة التي تكلمت عن قصة خلق نبي الله آدم (عليه السلام) وغش الشيطان له بإغوائه له وإخراجه من الجنة ، ثم نزوله بعد ذلك إلى الأرض ، ليخوض ذلك الصراع معه هو وذريته إلى قيام الساعة . ثم بعث الله تعالى من ذريته الأنبياء والرسل بالدعوة والنصح لأقوامهم وليتسيدوا خوض ذلك الصراع مع الشيطان وأعوانه عن طريق تصديهم لذلك الغش والإغواء على مر الزمان ختامًا بخاتم الأنبياء والرسل سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) . فسرد الله تعالى قصة سيدنا آدم (عليه السلام)، ونصح الشيطان له وإغوائه لإخراجه من الجنة ليبدأ صراعه معه من جديد وهكذا، "ليعلمنا الله تعالى آداب المناظرة ، وأنه كيف ينبغي فيها التدرج من الإجمال إلى التفصيل ، ومن الغيب إلى الحضور ، ومثال ذلك : إنك تبين لمن تنصحه حكاية تاريخية على وجه النصح ، وتذكر له عاقبتها ، ثم تمثلها له تمثيلًا ظاهرًا للعيان" [١] .

فذلك غرور الشيطان يظهر به النصح ويبطن الغش للإنسان ، وذلك هو الفرق بين النصح والغرور [٢] ، قال تعالى : ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [٣] .

وهكذا أخذت رسل ربنا تعالى وآياته تترا ليلهمنا بذلك الدروس والعبر ، ويعلمنا النصح والتناصح فيما بيننا ، ولنا في رسله وأنبيائه قدوة في ذلك [٤] . فهذا النبي نوح (عليه السلام) ينصح قومه ، بقوله تعالى : ﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا

---

(١) ابن بدران ، عبد القادر بن أحمد ، تفسير ابن بدران ، تح : زهير الشاويش ، ط١ ، (بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٤٢٠هـ-١٩٩١م) : ١٦٦ .

(٢) السمعاني الجد ، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي (ت٤٨٩هـ/١٠٤٦م) ، تفسير القرآن ، تح : ياسر بن إبراهيم وآخرون ، ط١ ، (الرياض ، دار الوطن ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) : ١٧٢/٢ .

(٣) سورة الأعراف : ٢١-٢٢ .

(٤) الطرطوشي ، سراج الملوك : ٨١ ؛ العليمي ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن (ت٩٢٨هـ/١٥٢١م) ، التاريخ المعتبر في أنباء من غبر ، تح : نور الدين طالب وآخرون ، ط١ ، (سوريا ، دار النوادر ، ١٤٢١هـ-٢٠١١م) : ٩/١-١٠ .

تَعۡلَمُونَ﴾[١]، ومنها نتعلم إن من يأبى ولا يسمع النصح لا محالة يكون من الهالكين ، فأنجاه الله تعالى في السفينة مع أتباعه وأغرق الآخرين[٢] .

فشدد على نصحهم وبالغ في ذلك مع علمه أنهم قوم لا يكترثون للناصحين ، فذكر ذلك مرة أخرى بقوله تعالى : ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[٣] ، فكان هذا قوله بعد تأكده من أن النصح لا ينفع مع المعاندين ، وأيقن ان الله تعالى لا يريد هدايتهم لعلمه المسبق بهم فأغواهم وأضلهم ، "ولكن لا ينفعهم ذلك عند إرادته سبحانه لإغوائهم وتقييد عدم نفع النصح بإرادته" [٤] .

وهكذا نصح نبي الله هود (عليه السلام) قومه عاد لينجيهم من الضلال ومن خزي الدنيا وعذاب الآخرة[٥] ، قال تعالى على لسان هود (عليه السلام) : ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٞ﴾[٦] ، فبعد أن نصحهم بالهداية رموه بالسفاهة فاستحقوا غضب الله تعالى[٧] .

وهذا نبي الله صالح (عليه السلام) نصح قومه ثمود وهداهم إلى الطريق المستقيم مدة من الزمن ولم يؤمن به إلا قلة منهم ، يأس من الباقين ، ودعا الله تعالى لينزل غضبه وعذابه

---

(١) سورة الأعراف : ٦٢ .

(٢) ابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت٢١٨هـ/٨٢٨م) ، التيجان في ملوك حمير ، تح : مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، ط١ ، (صنعاء ، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، ١٣٤٧هـ-١٩٢٨م): ٣٠-٣٢ ؛ الماتريدي ، محمد بن محمد بن محمود (ت٣٣٣هـ/٩٤٤م) ، تفسير الماتريدي، تح: محمد باسلوم، ط١ ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م) : ٤٦٣/٧.

(٣) سورة هود : ٣٤ .

(٤) الآلوسي ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت١٢٧٠هـ/١٨٥٤م) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تح : علي عبد الباري عطية ، ط١ ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م) : ٤٧/١٢ .

(٥) ابن قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م) ، المعارف ، تح : ثروت عكاشة، ط٢ ، (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م) : ٢٨ .

(٦) سورة الأعراف : ٦٧-٦٨ .

(٧) السمعاني الجد ، تفسير السمعاني : ١٩٢/٢ .

بهم[١] ، قال تعالى على لسانه : ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾[٢] ، بعد أن أيقن بأنهم لا يكترثون ولا ينصاعون للنصح فقال لا تحبون الناصحين[٣] .

وكذا نبي الله شعيب (عليه السلام) هدى قومه ونصحهم بإرادة الخير لهم ونهيهم عن المنكر وأمرهم بالمعروف ، إذ كانوا يخسرون المكاييل والموازين في تجارتهم ، فقال تعالى على لسانه : ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾[٤] ، وبعد أن يأس من أكثرهم قال : لا أكترث إن أهلك الله القوم الكافرين[٥] .

فيما تقدم استعرضنا بعضًا من الآيات البينات التي تكلمت صراحة عن النصح في القرآن الكريم ، لاحتوائها على مفردة النصح واشتقاقاتها ، ومما لا شك فيه فإن هناك في غيرها الكثير تكلمت عن النصح بذكرها لمرادفاتها وكلمات حملت معناها ولكن بألفاظ أخرى، فلا تكاد سورة من سور القرآن الكريم أن تخلو من ذلك[٦] .

---

(١) الأصفهاني ، عماد الدين أبي حامد محمد بن محمد (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) ، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، تح : عمر عبد السلام تدمري ، ط١ ، (بيروت ، المكتبة العصرية للطباعة ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) : ٦٣ .

(٢) سورة الأعراف : ٧٩ .

(٣) البيضاوي ، أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن مرعشلي، ط١، (بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م): ٣٢/٣.

(٤) سورة الأعراف : ٩٣ .

(٥) العليمي ، التاريخ المعتبر : ٢٤ ؛ أبو السعود ، محمد بن محمد بن مصطفى (ت٩٨٢هـ/١٥٧٤م) ، تفسير أبي السعود ، (بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د.ت) : ٢٥٢/٣ ؛ صالح ، عبد العزيز، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، (مصر ، المكتبة الأنجلو المصرية ، د.ت) : ١٢٥.

(٦) الطيبي ، شرف الدين الحسيني بن عبد الله (ت٧٤٣هـ/١٣٤٢م) ، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ، تح : اياد محمد الغوج ، ط١ ، (دبي ، جائزة دبي الدولية للقرآن ، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م) : ٤٨٠/٦ .

فكانت الغاية الأسمى من نزول القرآن وكتب الله تعالى إلى رسله وأنبياءه تقديم النصح لعباده لإخراجهم من الظلمات إلى النور وهدايتهم إلى طريق الصلاح : "فبعض أقسام كتب الأنبياء ، وإن كانت دينية في الأصل إلا أنها وضعت لغايات تعليمية ، لإرشاد الناس وتقديم النصح لهم" [١] .

مما تقدم تبيّن لنا أن هناك نصحا خالصا إيجابيا قصده الخير والتغيير نحو الصلاح، وفي المقابل هناك غش قصده الدمار والإفساد متمثلا بنصح الشيطان الرجيم وأتباعه ، ومن الغش نصح أخوة نبي الله يوسف (عليه السلام) لأبيهم أن يبعثه معهم للرعي وقولهم: ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴾ [٢] أي "نحن عصبة عادتنا في حقه النصح والشفقة" [٣] . وهذا هو الغرور بعينه[٤] ، أي إنهم يظهرون النصح ويبطنون المكر والخداع في السر .

ومن النصح الإيجابي نصح خليل الله تعالى إبراهيم (عليه السلام) لأبيه ، قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴾ [٥] ، يتضح من هذه الآيات البينات نصح إبراهيم (عليه السلام) لأبيه ومن ثم قومه بعدم الاستمرار بعبادة الأصنام كونها لا تضر ولا تنفع[٦] ، خوفًا عليه أن يكون عاصيًا فيكون تبعًا للشيطان[٧] .

"والقصص في القرآن لا يتبع دائمًا ذلك الخط التاريخي ، ذلك إنه يعرض سير الركب البشري منذ النشأة الأولى ، ويعرض موكب الإيمان وهو يحاول هداية هذا الركب واستنقاذه بالنصح كلما ضل تمامًا عن معالم الطريق وقاده الشيطان كلية إلى المهلكة ليسلمه

---

(١) علي ، المفصل : ١٢٨/١٧ .

(٢) سورة يوسف : ١١ .

(٣) الطيبي ، فتوح الغيب : ٢٦٦/٨ .

(٤) العسيري ، أحمد معمور ، موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم (عليه السلام) إلى عصرنا الحاضر، ط١ ، (الرياض ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م) : ٢٢-٢٣ .

(٥) سورة مريم : ٤٢-٤٤ .

(٦) الطيبي ، فتوح الغيب : ٣٣/١٠ .

(٧) الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) ، تاريخ الرسل والملوك ، ط١ ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م) : ١٤٣/١ .

في نهايتها إلى الجحيم" [١] . وهذا يعني أن القرآن الكريم في نهجه لا يتبع السياق التاريخي كما نرتبه نحن في كتابتنا للتاريخ ، وإنما حسب المواقف والحاجة إلى القصص والأمثال فتكون القصة أو المثل انتقائيًا من غير التزام بالخط التاريخي للقصة التي سبقتها أو التي تأتي بعدها ، وذلك لأجل أن تكون أكثر فائدة وتأثيرًا في هداية الخلق للإيمان والطريق القويم ، فهذه قصة سيدنا موسى (عليه السلام) نراها تتكرر في أكثر من مكان وأكثر من سورة[٢] ، وتكاد تكون أكثر من قصة ذكرت لما فيها من مواقف وأحداث تتلائم مع السرد القرآني لمواقف الهداية والإيمان ، بما تحمله من نصح ودروس عبر طياتها ، منذ ولادته وشبابه في مصر[٣] ، حتى هجرته وإرساله بالآيات مع أخيه إلى فرعون[٤] ، ليهدي قومه من خلاله ، لأن الناس على دين ملوكها منذ القدم[٥].

فذهب موسى (عليه السلام) إلى فرعون وملأه لينصحهم ويهديهم من الظلمات إلى النور ، فأبى فرعون ولم يهتد واتبع الضلال ولم ينفع معه النصح[٦] ، قال تعالى : ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ

---

(١) حوى ، سعيد، الأساس في التفسير ، ط٦ ، (القاهرة ، دار السلام ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م) : ١٩٣١/٤.

(٢) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) ، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، ط٢ ، (الرياض ، دار طيبة للنشر ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م): ٣٥٤/٣.

(٣) الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، تح : محمد أحمد شاكر ، ط١ ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) : ٤١٨/٢-٤٣٩ .

(٤) مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المخزومي (ت١٠٤هـ/٧٢٢م)، تفسير مجاهد، تح: محمد عبد السلام أبو النيل، ط١ ، (القاهرة ، دار الفكر الإسلامي الحديثة ، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م) : ٤٦٣/١.

(٥) الصنعاني ، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري (ت٢١١هـ/٨٢٧م)، تفسير عبد الرزاق ، تح : محمود محمد عبده ، ط١ ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م) : ٣٧٣/٢ ؛ البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت٥١٠هـ/١١١٦م) ، معالم التنزيل في تفسير القرآن ، تح : عبد الرزاق المهدي ، ط١ ، (بيروت ، دار احياء التراث العربي ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م) : ٤٦٦/٣ .

(٦) ابن سليمان ، مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي (ت١٥٠هـ/٧٦٧م) ، تفسير مقاتل بن سليمان ، تح: عبد الله محمود شحاته ، ط١ ، (بيروت ، دار احياء التراث ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) : ٥/٢ ؛ ابن عبد الحكم ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله المصري (ت٢٥٧هـ/٧٧٠م) ، فتوح مصر والمغرب ، (مصر ، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م) : ٤١-٤٧ .

﴿إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾[١] ، وهكذا إلى نهاية القصة في سور القرآن الكريم ، تعطينا خير درس في النصح واللين مع المنصوحين وبيان أسلوب الناصحين الناجين[٢] ، قال تعالى : ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[٣] ، إذًا هي وصية الله تعالى أن يكون النصح بالحوار الإيجابي واللين[٤] ، فنرى ان هذه الوصية كانت حتى مع خاتم الأنبياء والمرسلين محمد (ﷺ) قال تعالى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[٥] ، ثم قال : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٦] . وفي هذا أفضل درس لنا ان كنا ننوي الإصلاح في جميع مراحل حياتنا وفي كل زمان ومكان ، فإن منطق القوة والقسوة لا يولد إلا الخراب والدمار والفساد ، بل اللين ولغة الحوار هي الفيصل والقول الفصل ، ولنا في أنبياء الله تعالى ورسله أسوة حسنة كما تقدم ، فهو سبحانه يعلمنا من خلالهم ليكون لنا إصلاحهم ونصحهم خير طريق نهتدي به ونهدي به إن أردنا الإصلاح وإتباع الطريق القويم . هذه شذرات ونماذج من مئات الأمثال والقصص ، تعرفنا من خلالها على أساليب النصح للأنبياء والمرسلين كما علمهم الله جل وعلا بذلك ، لتكون لنا منهاجًا وعبرة إلى حين .

٨- النصح في السنة النبوية الشريفة :

بيّن القرآن الكريم والسنّة النبوية المشرفة مظاهر الموالاة والأخوة والتحابب بين المؤمنين ، وذلك من خلال التجاوب مع بعض الأمور لإثبات ذلك قولًا وعملًا ، ومنها :

---

(١) سورة الشعراء : ٢٩ .

(٢) ابن أبي ثعلبة ، يحيى بن سلام التيمي القيرواني (ت٢٠٠هـ/٨١٥م) ، تفسير يحيى بن سلام ، تح : هند شلبي ، ط١ ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م) : ٢٥٧/١ .

(٣) سورة طه : ٤٣-٤٤ .

(٤) التستري ، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع (ت٢٨٣هـ/٨٩٦م) ، تفسير التستري، تح : محمد باسل عيون السود ، ط١ ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) : ١٠٣/١ .

(٥) سورة آل عمران : ١٥٩ .

(٦) سورة النحل : ١٢٥ .

محاولة الاقتراب من واقع المسلمين والاندماج معهم للمسلم المبتعد عنهم ، ومناصرة المسلمين ودعمهم بكل شيء تطبيقًا لموالاتهم ، والاستشعار بآلامهم والفرح بفرحهم .

وبما أن النصح كان سنة من سنن المرسلين ، كان النبي (ﷺ) كثيرًا ما يؤكد على التناصح بين المسلمين، وقد قرن النصح بعبادة رب العالمين ، فقال : "إن العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله كان له أجره مرتين[١"])[٢]. وهذا لا يختصر على العبد وسيده حسب، بل ان هذا لعامة الناس تبعًا لما جاء من بعده من أحاديث تدعو إلى الأخوة والنصح.

فالقيام بواجب النصح لجميع المسلمين عامة والمؤمنين خاصة من منطلق محبة الخير لهم والابتعاد عن خداعهم وغشهم التي هي خلاف النصح ، وذلك تجسيدًا لقول النبي (ﷺ) : "المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولايخذله ، ، كل المسلم على المسلم حرام ، عرضه وماله و دمه ، التقوى هاهنا ، بحسب امريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم"[٣] ، ثم قال (ﷺ) : "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[٤].

بل الأكثر من هذا يوصينا النبي (ﷺ) بواجب النصح حتى لغير المسلمين كواجب شرعي بالقيام بواجب الدعوة والنصح لنشر الإسلام[٥] ، تجسيدًا لقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[٦] ، وسنتكلم عن هذا الأمر فيما سيأتي مفصلًا .

---

(١) مسلم ، صحيح مسلم ، رقم (١٦٦٤) ، باب ثواب العبد وأجره إذا نصح لسيده : ١٢٨٤/٣ .

(٢) الطرطوشي ، سراج الملوك : ٨٠ .

(٣) الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) ، سنن الترمذي – الجامع الكبير ، تح : بشار عواد معروف ، (بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م) ، رقم (١٩٢٧) ، باب ما جاء في النصيحة : ٣٨٩/٣ .

(٤) الدارمي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م) ، مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي ، تح : نبيل هاشم الغمري ، ط١ ، (بيروت ، دار البشائر ، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م) ، رقم (٢٩٤٦) ، باب لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه : ٦٥٧/١ .

(٥) آل فراج ، مدحت بن حسن ، المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد ، ط١ ، (بيروت، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م) : ٥٦-٥٧ .

(٦) سورة سبأ : ٢٨ .

فقد فرض الله تعالى على العلماء وأخذ ميثاقهم أن يبينونه للناس ولا يكتمونه ، وذلك لا يتم إلا بالنصح لكافة الناس[١] ، قال تعالى : ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[٢] ، وتجسيدًا لقول الله تعالى هذا ، ، قال الرسول الأكرم (ﷺ) : "الدين النصيحة ، قلنا لمن ؟ قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" [٣] .

لذا فقد أجمع العلماء قديمًا وحديثًا على وجوب النصح للمسلمين خاصتهم وعامتهم ، وجعلوه شرطًا من شروط الإيمان الكامل[٤] . وذلك انطلاقًا من قول الرسول (ﷺ) للصحابي الجليل عبد الله بن جرير بن عبد الله (رضي الله عنه) حين جاء مبايعًا ، فقد أوصاه بالنصح كشرط من شروط الإيمان ، قال : "بايعت رسول الله (ﷺ) على إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم" [٥] ، وفي قول لجرير بن عبد الله ، قال: "بايعت رسول الله (ﷺ) على السمع والطاعة ، وأن أنصح لكل مسلم" [٦] .

وبهذا يكونا الحياء والنصح من الإيمان وفقًا لما جاء في السنة النبوية المشرفة[٧] . وبذلك جمعت قلوب المسلمين بعد شتات وتفرق ، وتألفت بعد الشقاق والعداوة ، حتى غدوا

---

(١) آل فراج ، المختصر المفيد : ٥٧ .

(٢) سورة آل عمران : ١٨٧ .

(٣) ابن أبي عاصم ، عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني (ت٢٨٧هـ/٩٠٠م) ، السنة لأبن أبي عاصم ، تح : محمد ناصر الدين الألباني ، (بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٠هـ-١٩٧٩م) ، رقم (١٠٨٩) ، باب ما يجب على المسلم في النصح : ٥١٩/٢ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد : ٣٠٣/١٦ .

(٤) ابن أبي بردة ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري (ت٣٢٤هـ/٩٣٥م)، رسالة إلى أهل الثغر باب الأبواب ، تح : عبد الله شاكر محمد ، (الرياض ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م) : ٦٠ .

(٥) البخاري ، صحيح البخاري ، رقم (٥٧) ، باب بيان ان الدين النصيحة : ٢١/١ .

(٦) الخلال ، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الحنبلي (ت٣١١هـ/٩٢٣م) ، السنة ، تح: عطية الزهراني ، ط١ ، (الرياض ، دار الراية ، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م) ، رقم (١٠٢٢) ، باب تفسير الزيادة والنقصان في الإيمان : ٥٨٤/٣ .

(٧) الخلال ، السنة : ٥٨٤/٣ .

بنعمة الله وفضله إخوانًا ، فكافأهم الله تعالى بالعز والنصر والظهور ، وحدث تغيير في حياتهم لم يألفوه من قبل ، وفتح الله تعالى لهم الأرجاء شرقًا وغربًا ، ودانت لهم العرب قاطبة وبقية الأمم تباعًا ، فصاروا يفخرون بما منّ الله تعالى عليهم من نصر وتمكين[١] . وذلك لم يكن من فراغ وإنما لاقتدائهم بنبي الرحمة (ﷺ) الذي كان في غاية النصح والود والشفقة على الناس من آمن منهم ومن لم يؤمن، وهو من أفصح الخلق لسانًا وأعلمهم وأصدقهم ، وهو أنصح الناس للناس[٢] ، ترى هل سيكون في كلامه قصور أو نقص ؟ كلا وألف كلا بل هو في غاية البيان والوضوح حقيقة . فحري بالناصحين أن يكون قدوة لهم ، وهل أحسن منه قدوة ؟ هو الذي اجتمعت له أمور مهمة ، منها :

- إنه أعلم الناس بما يود الإخبار عنه ، وهو الأقدر على بيان ما يريد والكشف عنه ، فهو الحريص على هدايتهم وإرشادهم ونصحهم . وهو القدوة والمثل الأعلى في الصدق والأمانة حتى قبل الرسالة كما هو معروف[٣] .

فكانت دعوة الإسلام إلى التعاون والاخاء بدلًا من التنافر والشقاق ، الالتزام والنصح بكل ما يوصل إلى الأخلاق الحميدة والطريق القويم[٤] ، قال تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٥] ، أي بنصحهم وإرشادهم ودعوتهم ، وذلك تجسيدًا لقول الرسول (ﷺ) كما تقدم – الدين النصيحة[٦] .

---

(١) ابن سحمان ، سليمان بن سحمان بن مصلح النجدي الخثعمي العسيري ، منهاج أهل الحق ، تح: عبد السلام بن برجس العبد الكريم ، ط٣ ، (الرياض ، مكتبة الفرقان ، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م) : ١٧ .

(٢) آل سعدي ، أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله ، التنبيهات اللطيفة ، ط١ ، (الرياض ، دار طيبة، ١٤١٤هـ–١٩٩٣م) : ٢٤ .

(٣) الهراس ، محمد بن خليل ، شرح العقيدة الواسطية ، ط١ ،(الرياض ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد ، ١٤١٣هـ–١٩٩٢م) : ٧٥ .

(٤) الدوسري ، عبد الرحمن بن محمد بن خلف بن عبد الله ، الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة ، ط١ ، (الكويت ، دار الأرقم ، ١٤٠٢هـ–١٩٨٢م) : ٦٤ .

(٥) سورة الشورى : ٥٢ .

(٦) المقريزي ، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) ، تجريد التوحيد المفيد ، تح : طه محمد الزيني ، (المدينة المنورة ، الجامعة الإسلامية ، ١٤٠٩هـ–١٩٨٩م): ٢٩٨ .

وهكذا فقد كان الرسول (ﷺ) أمينًا يمحص التأديب والنصح لأمته ولولا نصيحته المخلصة لحل الهلاك والدمار في بلاد المسلمين[١] .

وعن أهمية الشورى والتناصح قال تعالى : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[٢] ، وإذا قيل كيفية هذه المشاورة التي أمر الله تعالى بها نبيه (ﷺ) ؟ : "إذا قيل لنا : كيف يشاورهم وهو نبيهم وإمامهم ، وواجب عليهم مشاورته وأن لا يفصلوا أمرًا دونه ؟ قلنا : هذا أدب أدب الله به نبيه عليه السلام ، وجعله مأدبة لسائر الملوك والأمراء والسلاطين . لما علم الله تعالى ما في المشاورة من حسن الأدب مع الجليس ومساهمته في الأمور ، فإن نفوس الجلساء والنصحاء والوزراء تصلح عليه وتميل إليه وتخضع عنوة بين يديه، شرعة لنبيه (ﷺ) ولذي الأمرة من أهل ملته" [٣] .

وتجسيدًا لهذا الكلام يروى أن الرسول (ﷺ) كان في غزوة بدر ، فأمرهم أن ينزلوا في مكان ، فقال له سعد بن عبادة[٤] (رضي الله عنه) ناصحًا : "يا رسول الله إن كان هذا بأمرك فسمعًا وطاعة ، وإن يكن غير ذلك فليس بمنزل ، فسمع منه النبي (ﷺ) وقال : إرتحلوا!" [٥] . وبهذا يعلمنا الرسول (ﷺ) بلزوم الاستشارة والنصيحة وقبولها ، لذا قيل بهذا الصدد : "ومن أقبح ما يوصف به الرجال ، ملوكًا كانوا أو سوقة ، الاستبداد بالرأي وترك المشاورة" [٦] .

فكان النبي (ﷺ) كثيرًا ما يستشير أصحابه (رضي الله عنهم) ويستأنس برأيهم في الكثير من القرارات المهمة ، فحين خرج الرسول (ﷺ) إلى غزوة بدر نزل أدنى من ماء بدر،

---

(١) الرفاعي ، أبو غزوان محمد نسيب بن عبد الرزاق ، التوصل إلى حقيقة التوسل ، ط٣ ، (بيروت ، دار لبنان للطباعة والنشر ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) : ٦٩ .

(٢) سورة آل عمران : ١٥٩ .

(٣) الطرطوشي ، سير الملوك : ٥٠ .

(٤) سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصاري الخزرجي سيدهم ، أحد النقباء ليلة العقبة ، حضر بدر وكانت راية الأنصار يومها معه ، تخلف عن بيعة أبي بكر (رضي الله عنه) ، وخرج من المدينة ولم يرجع إليها إلى أن مات سنة (١٥هـ/٦٣٦م) . ابن سعد ، الطبقات الكبرى : ٤٦٠/٣ ؛ ابن حبان ، مشاهير علماء : ٨ .

(٥) الطرطوشي ، سير الملوك : ٥٠ .

(٦) المصدر نفسه : ٥١ .

فقام له الحباب بن المنذر[١] ، فقال له ناصحًا : "يا رسول الله أرأيت هذا المنزل ، أمنزلًا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخره ، أم هو الرأي في الحرب ؟ قال: بل هو الرأي بالحرب ، فقال : يا رسول الله ، فإن هذا ليس لك بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نغور ما سواه من القلب[٢] ، ثم نبني عليه حوضًا فنملؤه ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون ، فنزل جبريل فقال : الرأي ما أشار به الحباب ، فنهض ومن معه حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه ، وأمر بالقلب فغورت ، وبنى حوضًا على القليب الذي كان عليه ، ثم قذفوا فيه الآنية[٣]"[٤] ، فكان أثر ذلك النصح عظيم ، وجنيت ثماره بعد أن نصر الله تعالى رسوله (ﷺ) والمؤمنين .

وهكذا فقد كان النبي (ﷺ) يرشدنا إلى أهمية النصح فهو خير الناصحين ، وما يجسد ذلك هو قول الله تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾[٥] ، اي أنصح الناس لأنفسهم[٦] .

---

(١) الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري ، صحابي ، من الشجعان الشعراء ، يقال له (ذو الرأي) ، هو صاحب المشورة يوم بدر ، أخذ النبي (ﷺ) برأيه وجبريل ، وكانت له في الجاهلية آراء مشهورة ، مات في خلافة عمر (رضي الله عنه) وذلك نحو (سنة ٢٠هـ/٦٤٠م) . ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، ط١ ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م) : ٩/٢ .

(٢) قلب : الآبار ، واحدها قليب وهي البئر . ابن سلام ، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت٢٢٤هـ/٨٣٨م) ، غريب الحديث ، تح : محمد عبد المعيد خان ، ط١ ، (حيدرآباد – الدكن ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م) : ٣٥/١ .

(٣) الحاكم النيسابوري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٤٠٥هـ/١٠١٤م) ، المستدرك على الصحيحين، تح : مصطفى عبد القادر عطا ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١١هـ-١٩٩٠م) ، رقم (٥٧٩٩) ، باب ذكر مناقب الحباب بن المنذر : ٤٨٢/٣ .

(٤) الطبري ، تاريخ : ١٠٣/٣ ؛ ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م) ، الكامل في التاريخ ، تح : عمر عبد السلام تدمري ، ط١ ، (بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م) : ١٨/٢ .

(٥) سورة الأحزاب : ٦ .

(٦) البدر ، عبد الرزاق بن عبد المحسن ، تذكرة المؤتسي ، ط١ ، (الكويت ، غراس للتوزيع والنشر، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م) : ٤٨ .

فوجب التأسي بأخلاق النبي (ﷺ) وأسلوبه في النصح والدعوة كقدوة مثلى لنا[١]. فعلى المنصوح أن يتقبله حتى ولو كان قاسيًا كتجرع السقيم للدواء حتى وإن كان مرًا لا يساغ[٢] .

وعودًا فالعود أحمد إلى حديث الرسول (ﷺ) – الدين النصيحة – فقد أوصى بالنصح إلى الله تعالى وكتابه الكريم ورسوله (ﷺ) وأئمة المسلمين وعامتهم ، وسنعرج هنا ونسهب في الكلام عن أهم أمر يهم موضوع دراستنا من هذه الامور ، وهو :

٩- النصح لأئمة المسلمين :

الإمام لغة هو الملك أو السلطان أو الخليفة ، وكل من أقتدي به وقدم فهو إمام، وجمعها أئمة ، كقوله تعالى : ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[٣] ، فالنبي إمام للأمم ، والقرآن إمام المسلمين ، لذا فقد فسر قوله تعالى: ﴿كُلَّ أُنَاسٖ بِإِمَٰمِهِمۡ﴾[٤]، اي بكتابهم[٥] ، وبهذا يكون الخليفة هو إمام الرعية كما النبي إمامًا للمسلمين من جميع الأمم ، فيكون إمام الجند والجيش هو قائدهم ، وتقول : "هذا أيم من هذا ، اي أحسن إمامة" [٦] . ويقال للقادة وللمصلحين وللهداة من السلف أئمة الهدى[٧] . ومن كل هذا نستخلص بأن هذه اللفظة هي لفظ عام يستخدم في أكثر من مجال ، فهي تطلق على الأنبياء والخلفاء والملوك والأمراء والقادة وممن يديرون أمر السياسة والبلاد والجند ، وكذلك تطلق على الهداة والمصلحين والعلماء والفقهاء في الدين وفي اللغة والعلوم والفنون .

---

(١) الأثري ، عبد الله بن عبد الحميد ، الوجيز في عقيدة السلف الصالح، مراجعة وتقديم : صالح بن عبد العزيز آل شيخ ، ط١ ، (الرياض ، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م): ٢١٩/٢ .

(٢) العباد ، عبد المحسن بن محمد بن عبد المحسن بن عبد الله ، الحث على إتباع السنة ، ط١، (بغداد، مطبعة سفير ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م) : ٧٠ .

(٣) سورة الفرقان : ٧٤ .

(٤) سورة الإسراء : ٧١ .

(٥) ابن سيده ، المخصص : ٣٢٣/١ .

(٦) ابن سيده ، المحكم : ٥٧٢/١٠ .

(٧) القاضي عياض ، مشارق الأنوار : ٤١/١ .

والنصح للملوك وللخلفاء يكون من أجل النصح المعروف عامة ، وتجسيدًا لما ذكر في حديث الرسول (ﷺ) الذي نقل عن الصحابي الجليل جرير بن عبد الله (رضي الله عنه) : "بايعت رسول الله (ﷺ) على السمع والطاعة والنصح لكل مسلم" [١] . قالوا : "فالملوك أولى الناس بأن تهدى إليهم النصائح ، وأحقهم بأن يخولوا بالمواعظ إذ كان في صلاحهم صلاح الرعية، وفي فسادهم فساد البرية . ولذلك كان الملوك الأولون يقولون : صلاح الولي خير من خصب الزمان . وقالوا : من غش الإمام فقد غش العامة وإن ظن أنه للعامة ناصح . وكانوا يقولون : لم ينصح عملًا من غش عامله . وقال جليل من الحكماء : يجب من حق الله – تبارك وتعالى – على المرء التوحيد والطاعة ، ومن حق السلطان الود والنصيحة"[٢].

لذا وجب النصح للسلطان خاصة حتى يتجنب الفساد والإفساد ، ويصلح فبصلاحه ينتظم أمر الأمة ويصلح حالها في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ويتم العمران ويعم الخير على البلاد ، وإن لم ينصح السلطان يعم الخراب وإن كتم النصح عن السلطان يعني غشه وغش الرعية معًا ، لأنها مصلحة عامة متبادلة . عسى أن ينتفع بها من هم أحق الناس بالنصح والموعظة الساسة والملوك والخلفاء والسلاطين ، لأن بصلاحهم تصلح الأمة والرعية والبلاد فهم الذين جعل الله تعالى بأيديهم كما قيل : "أزمة العباد وملكهم تدبير البلاد واسترعاهم أمر البرية ، وفوض إليهم سياسة الرعية ، ثم الأمثل فالأمثل من الولاة الذين أعطوا قيادة الأمم واستكفوا تدبير الأمصار والكور ، ثم الذين يلونهم من أرباب النعم وسواس البطانة والخدم ، ثم الذين يلونهم من أرباب المنازل ورواض الأهل والولدان ، فإن كل واحد من هؤلاء راع لما يحوزه كنفه ويضمه رحله ويصرفه أمره ونهيه ومن تحت يده رعيته" [٣] ، وهذا ما يعني أهمية النصح لأولي الأمر ومن دونهم من البطانة، ليكونوا بطانة صالحة بعد النصح فالنصح أولى لهم قبل اي كان من أفراد المجتمع ممن يلونهم ، لتدبير سياسة دولهم على أحسن حال وليصلح بذلك حال الراع والرعية ، وهذا كله تجسيدًا لقول الرسول (ﷺ) : "ثلاث لا يغفل عليهن قلب أمريء مسلم : إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة

---

(١) لقد تم تخريج الحديث فيما تقدم .

(٢) الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) ، نصيحة الملوك ، تح: خضر محمد خضر ، ط١ ، (القاهرة ، مكتبة الفلاح ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) : ٣٤ .

(٣) ابن سينا ، السياسة : ٨١ .

الأمر ، ولزومك جماعة المسلمين" [١] . وفي ذلك أوصى الكثير من العلماء، فكان يقال : "من كتم السلطان نصيحته ، والأطباء مرضه ، والإخوان بثه فقد خان نفسه"[٢] . إذًا فإن كتم النصح للسلطان قدر بمثابة الخيانة للنفس والرعية . حتى قيل: "كان كسرى أبرويز – ملك الفرس – يقول : من لم يصلح لملكه مع تعلق ضره ونفعه به لم يصلح لنفسه ، ومن لم يصلح لنفسه فلا خير فيه"[٣]. اي بمعنى ان السلطان إذا لم يقبل النصح ، يكون غاشًا ولم يكن قادرًا على الإصلاح أبدًا ويكون غاشًا لنفسه قبل أن يغش الرعية . وقيل : "ففي نصيحة السلطان نصيحة الكافة ، وفي نصيحة الكافة هداية إلى مصلحة العالم بأسره ، ونظام أمور الكل بجملته ، وعلى حسب ذلك يرجو باذلها لهم من ثواب العاجل والآجل وجزاء المحيا والممات" [٤] . إذًا فإن خير النصح يعم خيره ويمتد أثره حتى يبلغ ثوابه صلاح الدنيا ونوال النعيم في الآخرة .

ولذا كانت العادة أن بعث الله تعالى الأنبياء والرسل إلى ملوك الأمم والأقوام فبلغوهم ، ثم إلى من هم دونهم من الأفراد واحدًا تلو الآخر من رعاياهم وعامتهم ، حتى قيل: "لأن شخص الملك وحده يفي بجميع من في ضمن مملكته وتحت سياسته ، ولأن الراعي إذا مال إلى مذهب مالت إليه الرعية ، والملك إذا زهد في سيرة زهدت فيها العامة ، وعلى هذا جرى أمر أكثر المتنبئين الذين راموا فساد الدنيا والدين" [٥] . اي إن الملك إذا تجنب النصح وابتعد عن النصحاء ، يكون بذلك فساد البلاد وخرابها ، وهي نتيجة حتمية لذلك . لهذا فإن ما كتب في كتب النصح والنصائح وما جاء فيها هي بحد ذاتها نصيحة للملوك والساسة أن يلزموا طريق النصح ولا يحيدوا ولا يجزعوا عنه ، قال : "لأنها نصيحة من قبلها وعمل بها من الملوك والساسة وصل الله ملكه الأمدي بالأبدي في دار القرار

---

(١) ابن حنبل ، أبو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١هـ/٨٥٥م) ، مسند أحمد بن حنبل ، تح : أبو المعاطي النوري ، ط١ ، (بيروت ، عالم الكتب ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، رقم (١٣٣٥٠) ، باب النصيحة : ٣/٢٢٥ .

(٢) الماوردي ، نصيحة الملوك : ٣٤ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٤ .

(٤) المصدر نفسه : ٣٤ .

(٥) المصدر نفسه : ٣٤-٣٥ .

ومحل الأبرار، في ملك لا يبلى ، ونعيم لا يفنى ، ولذة لا يشوبها ألم ، وسرور لا يكدره غم، وفرح لا يخالفه حزن ، وغنى لا يخشى بعده فقرًا، وصحة لا يخاف معها سقمًا" (١) . فما أعظم النصيحة وما اهمها ، ولهذا كله سماها النبي (ﷺ) دينًا ، كما مر بنا في ما تقدم عند كلامنا عن حديث (الدين النصيحة) . والنصائح تكفي الملوك أو السلطان أو الخليفة شرور الأعداء ومكر الأعوان والجنود والقواد والفرسان ، ومكائد أهل الحسد والبغضاء ، بل هي تقربه من الناس وتكثر له الأولياء ، ويقول فيه الجلساء من العلماء والأدباء والشعراء وغيرهم أقوال المدح والثناء . قال : "ثم جعل مملكته عامرة ، وأيامه غضة نضرة ، وخواصه راضية، ورعاياه منقادة ساكنة ، وبلاده هادئة وسبلها آمنة ، وأمواله دائرة ، وأعداءه مقهورة مقموعة ، وعزه في حياته ناميًا ، وذكره بعده باقيًا" (٢) . وكما بيّنا فإن خير النصح يعم جميع البلاد ومن فيها ، فهي تشمل الملك وقادته وحاشيته ومن في حضرته وجميع رعاياه ، وهو نصح متبادل في بعض الأحيان ، قال أحد الحكماء : "ما أعلم شيئًا بعد الإخلاص لله أفضل من نصيحة الوالي لرعيته" (٣) .

وقيل : "إن النصح لأئمة المسلمين : فحب صلاحهم ورشادهم وعدلهم ، وحب اجتماع الأمة عليهم ، وكراهة افتراق الأمة عليهم ، والتدين بطاعتهم في طاعة الله ، والبغض لمن رأى الخروج عليهم وحب إعزازهم في طاعة الله" (٤) .

وهذا الكلام فيه أمر مهم وهو وجوب الطاعة والإخلاص لأئمة المسلمين ؛ لأن طاعتهم فرض من الله تعالى كونهم أولياء الأمر للأمة وبهم ينتظم أمر البلاد ، إلا أن الكلام الأخير يحتاج إلى الوقوف قليلًا ، فيا ترى هل جميع الأئمة يميل إلى سماع النصح المقدم لهم والعمل به ؟ وهل كلهم سواسية في حكمهم للبلاد والرعية ؟ قطعًا لا فإن الكثير من الملوك ممن زاغوا عن الحق ولم يسمحوا للنصاح بنصحهم ، وإذا سمعوا لم ينتفعوا به ولم

---

(١) الماوردي ، نصيحة الملوك : ٣٥ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٥ .

(٣) ابن الحداد ، محمد بن منصور بن حبيش (ت بعد ٦٧٣هـ/١٢٧٤م) ، الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، ط١، (مكة المكرمة ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م) : ١٣٣.

(٤) المروزي ، تعظيم قدر الصلاة : ٦٩٣-٦٩٤ ؛ التميمي ، حقوق النبي : ٣٣٨-٣٣٩ .

يعملوا به ، قوله تعالى : ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾[١] ، وأين نحن من حديث الرسول (ﷺ) : "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر"[٢]، فليس كل الأئمة هم عدول ويحكمون بما أنزل الله تعالى ، ويسمعون نصح خلق الله تعالى ويعملون به ، فهل الشرع يا ترى يأمر بعدم النصح أو الخروج على مثل أولئك الأئمة الفاسدين ؟ .

هذا فقد أباح العلماء الدخول على الأئمة الذين بان ظلمهم وطغيانهم وفسادهم، بقصد نصحهم وقول كلمة الحق في حضرتهم ، بل انه في ذلك الأجر والثواب من الله تعالى، قيل : "أمّا الدخول عليهم على سبيل النصح لهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر فهذا باب في النصح لهم ، كما ان خلفاء المسلمين العدول تجب مناصحتهم ومؤازرتهم ومشاركتهم في الرأي" [٣] . لذا فقد أحل الكثير من العلماء مخالطة وغشيان مجالس أولئك الحكام والإكرام لهم بداعي النصح .

"وينبغي للملك ألا يستبد برأيه وأن يشاور في الملمات خواص الناس وعقلائهم ومن يتفرس فيه الذكاء والعقل وجودة الرأي ، وصحة التمييز ومعرفة الأمور ، ولا ينبغي أن تمنعه عزة الملك من إيناسه لمستشاريه وبسطه ، واستمالة قلبه حتى تمحضه النصيحة فإن أحدًا لا ينصح بالقسر ولا يعطي نصيحته إلا بالرغبة" [٤] ، وهذا المعنى كان قد جسد بشعر :

"أهان وأقصى ثم يستنصحونني ومن ذا الذي يعطي نصيحته قسرًا!؟" [٥]

فكان بذلك وجوب طلب النصح والمشورة أفرض للملوك وأوجب لهم ، لما في ذلك صلاح أمر الرعية والبلاد . ولنا برسول الله (ﷺ) أسوة حسنة كما مر بنا في مشاورته لأصحابه يوم بدر وغيرها ، فكان يشاور أصحابه دائمًا ، وفي ذلك عدة وجوه منها : إن في

---

(١) سورة الزخرف : ٧٨ .

(٢) ابن حنبل ، مسند أحمد ، رقم (١١١٥٩) ، مسند أبي سعيد الخدري : ١٩/٣ .

(٣) الدميجي ، عبد الله بن عمر بن سليمان ، الإمامة العظمى ، ط١ ، (د.م ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م): ٣٧٢/١ .

(٤) ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م) ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، تح : عبد القادر محمد مايو ، ط١ ، (بيروت ، دار القلم العربي ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م) : ٣٠-٣١ .

(٥) ابن حمدون ، التذكرة : ٨٠/٧ ؛ ابن الطقطقي ، الفخري : ٣١ .

ذلك كسبًا لقلوبهم ، ومشاورتهم في الأمور الهامة ليستقر له الرأي الصحيح ، أراد مشاورتهم لما في ذلك من النفع والمصلحة ، والأهم من ذلك هو ليقتدي الناس في ذلك[١] .

لذا فقد قيل : "الخطأ مع المشورة ، أصلح من الصواب مع الانفراد والاستبداد" [٢].

وقال الحكماء قديمًا: "لابد للملك من مستشار مأمور يفضي إليه بسره ، ويعاونه على رأي، فإن المستشير – وإن كان أفضل من المستشار وأكمل عقلًا وأصح رأيًا – قد يزداد برأي المشير رأيًا ، كما تزداد النار بالدهن ضوءاً ونورًا"[٣]، فقد قيل شعرا مجسدًا لهذا المعنى :

"إذا أعوز الرأي المشورة فاستشر برأي نصيح أو مشورة حازم" [٤]

فلا غنى للملوك عن النصيحة مهما بلغ رأيهم وعلا مكانهم ، فكان يقال : "من كثرت استشارته حمدت إمارته ، وفي حكم الهند قال بعض الملوك : إن الملك الحازم يزداد برأي الوزراء الحزامة ، كما يزداد البحر بمواده من الأنهار ، وينال بالحزم والرأي ما لا يناله بالقوة والجند ، ولم تزل حزمة الرجال يستحلون مرائر قول النصحاء كما يستحلي الجاهل المساعدة على الهوى" [٥] .

وقد كان من شدة ورع بعض السلف (رضوان الله عليهم) أن نهوا عن الدخول على أولي الأمر حتى بقصد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٦] . مع هذا نرى إن كثيرا من العلماء مع شدة زهدهم وورعهم كانوا يدخلون على الخلفاء والأمراء بقصد النصح مهما كانت النتائج ، وبالمقابل فعلى أولي الأمر أن يبادروا بطلب النصيحة والاستئناس بمشورة أصحاب الخبرة والتجارب أصحاب العقول الراجحة : "وينبغي للملك أن لا يمضي الأمور بهاجس رأيه ونتائج فكره تحرزًا من إفشاء سره ، والاستعانة برأي غيره حتى يشاور ذوي الأحلام والنهى وأهل الأمانة والتقى ممن قد حنكتهم التجارب فارتضوا بها وعرفوا عند موارد الأمور حقائق

---

(١) ابن الطقطقي ، الفخري : ٣١ .

(٢) المصدر نفسه : ٣١ .

(٣) المصدر نفسه : ٣١ .

(٤) ابن تميم ، زهر الآداب : ٨٨١/٣ ؛ ابن الطقطقي ، الفخري : ٣١ .

(٥) الطرطوشي ، سراج الملوك : ٧٨ .

(٦) الغزالي ، احياء علوم الدين : ١٤٥/٢ .

مصادرها فإنه ربما كان استبداده برأيه أضر عليه" [١] . وقيل إن اساس الملك في ثلاثة أمور، هي : "اللين وترك الفظاظة والمشاورة" [٢] ، لذا عد النصح مع أساسيات بناء الملك وإدامة وجوده .

وهناك رابط عجيب بين الرعايا والأئمة ثم الأئمة والعلماء لذا قيل : "فساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء ، وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه والمنصب ، ومن استولى عليه ذلك لم يقدر على الإنكار أو النصح لأراذل الناس ، فكيف على الملوك والأكابر ، ولو تكلم لم يسمع له لأنه لم ينصح نفسه فيصلحها فكيف يصلح غيره !!" [٣] .

من كل هذا يبرز دور العلماء وأهمية نصحهم للأئمة وما يترتب على نصحهم من صلاح الملوك ثم صلاح رعيتهم بعد أن صلحوا، وقالوا : "اتخذ علمائك ونصحائك مرآة لطباعك وفعالك ، كما تتخذ لصورة وجهك الحديد المجلو ، فإنك إلى صلاح طباعك وفعالك أحوج منك إلى تحسين صورتك ، والعالم الناصح أصدق وأعوز من الحديد المجلو" [٤] . وجماع ذلك المعنى بقول النبي (ﷺ) : "المؤمن مرآة أخيه المؤمن ، والمؤمن أخ المؤمن يكف عليه ضيعته ويحفظه من ورائه" [٥] . وأولى بالنصح هم أولي الأمر .

ثم يأتي بعد ذلك دور البطانة التي تحيط بالأئمة سواء أكانت صالحة أم كانت طالحة فعليها تنعكس النتائج إن صلحت فخير وصلاح وإن فسدت فخراب وفساد ودمار ، سواء كانوا جلساء أو ندماء أو وزراء أو ولاة أو قادة أو أمراء ، إذ كان لهم الدور الأكبر بعد العلماء على مدى أيام الدولة العربية الإسلامية سواء كان نصحهم إيجابي أم سلبي ، يظهر أثره على المدة التي لازموا فيها الأئمة من خلفاء وسلاطين وأمراء . وقد أوجب العلماء

---

(١) الماوردي ، درر السلوك في سياسة الملوك ، تح : فؤاد عبد المنعم أحمد ، (الرياض ، دار الوطن ، د.ت) : ٧٥ .

(٢) الطرطوشي ، سراج الملوك : ٥٠ .

(٣) الإمامة العظمى : ٣٨٥ .

(٤) الماوردي ، نصيحة الملوك : ٣٤-٣٦ .

(٥) المقدسي ، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي (ت٥٦٧هـ/١١٧١م) ، الأحاديث المختارة ، تح : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، (مكة المكرمة ، مكتبة النهضة الحديثة ، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م) ، رقم (٢١٨٥) ، باب المؤمن أخو المؤمن : ١٧٩/٦ .

طاعة الأئمة في الحق ومعونتهم فيه وأمرهم بالحق وتذكيرهم به وتنبيههم على ما غفلوا عنه وعدم كتم أمور المسلمين عنهم ، والدعاء لهم بالتوفيق لإحقاق الحق وترك الباطل[١] .

ومما لا شك فيه كان من الضروري ولزامًا على ذوي السلطان والملك أن يبدأوا بسياسة أنفسهم وتقويمها : "فلزم ذا الإمرة والسلطان أن يبدأ بسياسة نفسه ليحوز من الأخلاق أفضلها ويأتي من الإعمال أجملها فيسوس الرعية بعد رياضته ويقومهم بعد استقامته . فإذا بدأ بسياسة نفسه كان على سياسة غيره أقدر" [٢] ، فكان خير معين لهم على ذلك هو سعيهم الحثيث على تقريب ذوي العقول الراجحة من الأتباع والجلساء والعلماء والوزراء فكانوا خير مستشارين ونصحاء كما تقدم .

١٠- النصح لعامة المسلمين :

وبعد أن تكلمنا عن النصح لأئمة المسلمين بتفصيل أكثر لأهمية النصح لهم كما بينا ولأنه من صلب موضوعنا أثر النصح في الحياة السياسية ، بقي أن نعرف ماهية النصح لعامة المسلمين وما هي أهميته . فقد قيل : "وأمّا النصيحة للمسلمين : فإن يحب لهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه ، ويشفق عليهم ، ويرحم صغيرهم ، ويوقر كبيرهم ، ويحزن لحزنهم ، ويفرح لفرحهم ، وإن ضره ذلك في دنياه – كرخص أسعارهم – وإن كان في ذلك ربح ما يبيع من تجارته ، وكذلك جميع ما يضرهم عامة ، يحب صلاحهم وألفتهم ودوام النعم عليهم ، ونصرهم على عدوهم ، ودفع كل أذى ومكروه عنهم" [٣] . وبهذا تكون النصيحة للمسلمين عامة ، بالود لهم والتقرب منهم ومحاولة حبهم كأخوة في الإنسانية أولًا وفي الدين ثانيًا ، ومواساتهم في نوائبهم ، والفرح بأفراحهم وبما يسرهم ، والتسامح معهم في البيع والشراء وعدم غشهم ، وأن ننصرهم ونقف إلى جانبهم ضد كل من أراد أن يمكر بهم أو يعاديهم ، حتى قيل : "والنصيحة لعامة المسلمين : إرشادهم إلى مصالحهم وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم ، وستر عوراتهم ، وسد خلاتهم ، ونصرهم على أعدائهم والذب عنهم ،

---

(١) القاضي عياض ، الشفا : ٥٨٥/٢ ؛ وابن رجب ، جامع العلوم : ٧١ .

(٢) الماوردي ، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك ، تح : محي هلال السرحان وآخرون ، (بيروت ، دار النهضة العربية ، د.ت) : ٤٧ .

(٣) الدميجي ، تعظيم قدر الصلاة : ٦٩٤/٢ .

ومجانبة الغش والحسد لهم ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه وما شابه ذلك" [١] . وفي هذا المعنى قال القاضي عياض : "والنصح لعامة المسلمين: إرشادهم إلى مصالحهم ومعونتهم في أمر دينهم ودنياهم بالقول والفعل ، وتنبيه غافلهم ، وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم ، وستر عوراتهم ، ودفع المضار عنهم وجلب المنافع إليهم"[٢] . يكاد الكلام عن النصح لعامة المسلمين يتشابه في كثير من الأمور عند جل العلماء ، كون النصح يشمل كل مفاصل الحياة ، فهذا القرطبي يقول: "والنصح للعامة : ترك معاداتهم ، وإرشادهم وحب الصالحين منهم ، والدعاء لجميعهم وإرادة الخير لكافتهم ، وفي الحديث الصحيح : "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[٣] "[٤] . مما لا شك فيه ان معنى هذه العبارات كما بينا تكاد أن تؤدي إلى نتيجة ومعنى واحد . وهذا الكلام كله تجسيدًا للحديث الشريف الذي ذكرناه فيما تقدم نقلًا عن الصحابي الجليل جرير بن عبد الله (عليه السلام) ، قال : "بايعت رسول الله (ﷺ) على السمع والطاعة فلقنني : فيما استطعت والنصح لكل مسلم"[٥]، فضلًا عن ذلك فإن هذا الكلام هو تجسيدًا لحديث شريف آخر نقل عن النبي (ﷺ) قال : "حق المؤمن على المؤمن ست ، قيل : وما هي يا رسول الله ؟ قال : إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمته[٦]، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه" [٧] . نخلص من كل ما تقدم ان النصح واجب لعامة المسلمين وكاد

---

(١) ابن رجب الحنبلي ، جامع العلوم : ٧٦ .

(٢) القاضي عياض ، الشفا : ٥٨٦/٢ .

(٣) تم تخريج الحديث فيما تقدم .

(٤) تفسير القرطبي : ٢٢٧/٨ .

(٥) تم تخريج الحديث فيما تقدم .

(٦) شمته : من شمت هي فرح العدو ببليته ، وشمت تعني كذلك الدعاء بالخير والبركة . الفتني ، جمال الدين محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي (ت٩٨٦هـ/١٥٧٨م) ، مجمع بحار الأنوار ، ط٣ ، (الهند ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م) : ٢٥٢/٣ .

(٧) مسلم ، صحيح مسلم ، رقم (٢١٦٢) ، كتاب السلام : ١٧٠٥/٤ .

يكون كالفرض لشدة ما أكد عليه الرسول (ﷺ) في أحاديثه التي ذكرناها وما لم نذكر ، ويبقى النصح حق مكفول لعامة الناس على بعضهم[١] .

يا ترى رب سائل يسأل هل النصح خاص بعامة المسلمين وحدهم ؟ أم انه يشمل بقية الأديان ممن يعيشون معهم في البلاد الإسلامية من أهل الكتاب وغيرهم من المشركين والطوائف والديانات الأخرى ؟ والجواب في الآية الكريمة ، قال تعالى : ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[٢] ، وهي تشمل كل الأديان لأجل انقاذهم من الضلال إلى دين الحق والهداية وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، ثم خص أهل الكتاب بهذه الآية الكريمة ، قال تعالى : ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾[٣] ، وذلك لا يكون إلا بعد التسلح بالعلم حتى يكون نصحًا وحوارًا بناءً يؤدي إلى نتائج طيبة ، وبهذا يكون النصح يشمل جميع من يعيش على أرض الإسلام مسلمين وغير مسلمين ، لأننا مأمورون بذلك بإيصال ديننا ونشره إلى الناس كافة كما ذكرنا ذلك في ما تقدم ، بقوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾[٤] . وبهذا نكون قد بيّنا معنى ما جاء في حديث (الدين النصيحة) وعرفنا المراد منه حسب ما ذكر في الحديث من نصح لله تعالى ثم من ذكر بعده حسب تسلسلهم في الحديث الشريف وبيان الفائدة من نصحهم والنصح لهم .

١١- النصح عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

كثيرًا ما يكون النصح عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بل إن ذلك يدخل في صلب موضوع النصح مباشرة ، وهو متعلق به لا ريب وملازم له في أكثر الأحيان : "والمعروف : ما عرف حسنه شرعًا ، والمنكر : ما عرف قبحه شرعًا، فما أمر به

---

(١) السيوطي ، حسن المحاضرة : ١٠١/٤ .

(٢) سورة النحل : ١٢٥ .

(٣) سورة العنكبوت : ٤٦ .

(٤) سورة سبأ : ٢٨ .

الشارع فهو معروف ، وما نهى عنه فهو منكر" [١] . ورب سائل يسأل هل إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له حدود أو شروط أم هو مباح للجميع ؟ بالطبع هو عمل مسؤول عنه جميع المسلمين وبكل أطيافهم إذا توفرت فيهم شروط الناصحين ، ومنها كما ذكر : أن يتولى ذلك من له علم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن لا يخاف الضرر على نفسه ، وأن لا يكون نتيجة عمله مفسدة كبيرة[٢] . ومن أهم أعمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر النصح لولاة الأمور ، أبرارًا كانوا أم فجارًا ، ثم النصح لجميع أبناء الأمة وبث روح التعاون والمحبة والألفة بينهم ، والنصح والدعوة إلى محاسن الأعمال ومكارم الأخلاق ، كالبر والإحسان والصدق ، وحسن الجوار وحسن الصحبة ، وغيرها ، ثم النهي عن فساد الأخلاق ومساوئها ، كالعقوق والكذب ، وجحد النعمة ، وإيذاء الجار ، والتعدي على الخلق والإساءة لهم وغيرها من مذموم الأخلاق في الشرع[٣] .

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من صلب عمل النصاح[٤] ، وهو من صلب المهمة التي أرسل الله تعالى بها النبيين والرسل (عليهم السلام) لهداية ونصح الأمم لنبذ الشرك وعبادة الله وحده وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وإتباع الحق وترك الضلال[٥] ، وفي قول للإمام علي (عليه السلام) : "أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمنين ، ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافقين، ومن أبغض الفاسق ، وغضب لله فغضب الله له" [٦] . وهذا ما يدل على أهمية

---

(١) ابن صالح ، محمد بن صالح بن محمد ، مذكرة على العقيدة الواسطية ، (الرياض ، دار الوطن للنشر، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م) : ٨٩ .

(٢) المصدر نفسه : ٨٩ .

(٣) المصدر نفسه : ٩٠–٩١ ؛ المراغي ، أحمد مصطفى ، الحسبة في الإسلام ، تصحيح : محمد عبد الرحمن الشاغول، (المدينة ، مكتب الروضة للبحث العلمي ، الجزيرة للنشر والتوزيع ، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م) : ٦.

(٤) الحراني ، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحنبلي الدمشقي (ت٨٢٨هـ/١٣٢٨م) ، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، ط١ ، (السعودية ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م) : ٩٥ .

(٥) ابن الأخوة ، محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد القرشي (ت٧٢٩هـ/١٣٢٩م) ، معالم القربة في طلب الحسبة ، (كمبردج ، دار الفنون ، د.ت) : ١٥ .

(٦) المصدر نفسه : ١٧ .

النصح لإحقاق الحق ونكران المنكر والباطل فجل هذا الأمر النصح بالحق ، وفي ذلك مصداقا لقول الرسول (ﷺ) : "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر أوليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ، ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم"[١]. من هنا تبرز أهمية النصح للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهي تمس جميع مفاصل الحياة ، وتشمل جميع أفراد المجتمع الواحد من ولاة الأمر نزولًا إلى الرعية ، فكم من عالم جليل قد نذر نفسه للنصح في حضرة ولاة الأمور فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر ، مع علمهم بخطورة هذا الأمر طلبًا لنيل مرادهم بتحقيق هذا الأمر أو نيل الشهادة ، فلما أخلصوا نيتهم أثر نصحهم ولانت لهم القلوب القاسية[٢] . وفي حديث شريف للرسول (ﷺ) يبين فيه فضل هذا العمل على سواه وحب الله تعالى له : "ذكر أن رجلًا أتى النبي (ﷺ) وهو يومئذ بمكة فقال : أنت الذي تزعم أنك رسول الله قال : نعم ، قال اي الأعمال أحب إلى الله تعالى ، قال : الإيمان بالله تعالى ، قال ثم ماذا ، قال : ثم صلة الرحم ، قال : ثم ماذا ، قال : ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال : اي الأعمال أبغض إلى الله تعالى ، قال : الإشراك بالله تعالى ، قال : ثم ماذا ، ثم : ثم قطيعة الرحم ، قال : ثم ماذا ، قال : ثم ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٣] " [٤] . وهذا كله مصداقًا لقول الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[٥] . والحسبة[٦] تدخل

---

(١) ابن حنبل ، مسند أحمد : رقم(٢٣٣٠١) ، باب حديث حذيفة بن اليمان عن النبي (ﷺ) .

(٢) ابن الأخوة ، معالم القربة : ٢٠ .

(٣) المنذري ، أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م) ، الترغيب والترهيب، تح : مصطفى محمد عمارة ، ط٣ ، (مصر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م)، رقم (٧) ، باب الترغيب في صلة الرحم : ٣/٣٣٥ .

(٤) السنامي ، عمر بن محمد بن عوض الحنفي (ت٧٣٤هـ/١٣٣٣م) ، نصاب الاحتساب ، (د.م ، د.ت) : ٢٠٦ .

(٥) سورة آل عمران : ١١٠ .

(٦) الحسبة : لغة : كما في لسان العرب اسم من الاحتساب وهو البدار إلى طلب الأجر وتحصيل بالأخذ بأنواع البر والخير ، والقيام بها على الوجه المرسوم ابتغاء الأجر المرجو منها ، والمحتسب هو طالب الأجر والمسؤول عن سلامة الموازين والمكاييل ومنع الغش ومنع المحرمات ورقابة الأسواق والنهي عن المحرمات، وهي تدخل ضمن مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. المراغي، الحسبة في الإسلام : ٤ .

في عمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والأمر بالمعروف هو النصح والدعوة إلى فعل الخير والإتيان به والترغيب بفعله ، وتثبيت أركانه وتقوية دعائمه ، كونه سمة عامة لجميع مفاصل الحياة[١] . ومما لاشك فيه فإن النصح لعمل المعروف والنهي عن المنكر هو رحمة من رحمات الله تعالى شرعها ليعم الخير على جميع الخلق ويعم العدل والبر فتكون منهاج حياة، قال تعالى : ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢] ، وهنا يصف الله تعالى الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بالمؤمنين ، فيا لها من رتبة ويا لها من منزلة عند الله تعالى للناصحين. وقد ذكر كثير من الفقهاء أحاديث كثيرة عن النبي (ﷺ) توجب النصح للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، منها قوله : "من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، فهو خليفة الله في أرضه ، وخليفة رسوله ، وخليفة كتابه" [٣] . ثم قال : "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" [٤] .

١٣- النصح في الشعر العربي :

لقد كان للشعراء العرب أثر في تقديم النصح قبل الإسلام وبعده على مدى العصور الإسلامية ، وسنمر على شذرات لأجمل ما قيل من شعر عربي في النصح في مختلف العصور .

فقد قيل في العلم والاجتهاد في النصح فيه :

---

(١) السقطي ، أبو عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي الأندلسي (ت حوالي ٥٠٠هـ/حوالي ١١٠٧م) ، آداب الحسبة، تح: ليفي بروفنسال-كولان، (باريس، مطبعة أرنست لورو، ١٣٥٠هـ-١٩٣١م): ٢-٣.

(٢) سورة التوبة : ٧١ .

(٣) ابن حماد ، أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية الخزاعي المروزي (ت٢٢٨هـ/٨٤٢م) ، كتاب الفتن، تح : سمير أمين الزهيري ، ط١ ، (القاهرة ، مكتبة التوحيد ، ١٤١٢هـ-١٩٩١م) ، رقم (٢٤٥) ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ١٠٢/١ .

(٤) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، رقم (٣٠٦) ، ذكر وصف النهي عن المنكر : ٥٤٠/١ .

"واعلم بأني قد نظمت مسائلًا لم آل فيها النصح غير مقلد" [١]

اي لم أقصر فيها بل اجتهدت بنظمها نصيحة مني للعباد ، تسهيلًا لهم لمسائل العلم والدين .

وهذه قصيدة لشخص يحث قومه بإتباع هدي النبي (ﷺ) ويحذرهم من الابتداع في الدين :

"ورووا بعده حسان الأحاديث ووهوا ما دون شرط الحسانِ
واعتنوا بالنفيس من غير خبط في دعاوى معنى بغير بيانِ
وابانوا نقد الرواة بيانـــــــــًا يكشف الغامضات للعميـــان
تعلموا أنهم قد اعتمدوا النصح وصحوا عن علّة الأذهـــانِ
واستدلوا بالمسندات العوالـــي وفي تفاريع دينهم والمباني" [٢]

وقال آخر في نفس المعنى تقريبًا :

"وربما جاء أذكى منكما فغـــدا الإسلام في كل يوم وهو يرتفض
فقف على الجمل المعلوم صحتها ولا تجاوزوا قول النصح مفترض" [٣]

وقيل في منام المسلمين وغفلتهم عن دعوة الحق شعر قديم بهذا المعنى :

"أمرتهموا أمري بمنعرج اللوى فلـــم يستبينوا النصح الاضحى الغدِ
فلما عصوني كنت منهم وقـــد أرى غوايتهم وأنني غير مهتـــــدِ"[٤]

وهذا الشعر فيه نصح للإنسان بمخالفة هوى النفس وعدم إتباع الشيطان لنيل الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة :

---

(١) الكلواذي ، أبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن حسن الحنبلي (ت٥١٠هـ/١١١٦م) ، شرح القصيدة الدالية، تح: عبد الرحمن بن ناصر البراك، ط١، (د.م، دار ابن الجوزي ، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م) : ٤٣.

(٢) ابن الوزير ، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى الحسني (ت٨٤٠هـ/١٤٣٦م) ، الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم (ﷺ)، تح: بكر بن عبد الله أبو زيد وآخرون ، (د.م ، دار عالم الفوائد للنشر ، د.ت) : ٥٩٥/٢ .

(٣) ابن العربي ، القاضي محمد بن عبد الله أبي بكر بن العربي المعافري (ت٤٥٣هـ/١١٨٤م) ، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة من سنة ابي القاسم ، تح : محب الدين الخطيب وآخرون ، ط٢، (بيروت ، دار الجيل ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) : ٤٤٤/٣ .

(٤) البحتري ، أبو عبادة الوليد بن عبيد (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م) ، الحماسة للبحتري ، تح : محمد إبراهيم حور وآخرون ، (أبو ضبي ، أبو ضبي للثقافة والتراث ، ١٤٣٨هـ-٢٠٠٧م) : ١٧٦ .

"قد تنكر العين ضوء الشمس من رمـدِ وينكر الفم طعم الماء من سقمِ
وخالف النفس والشيطان واعصمهمـــا وان هما محضاك النصح فاتهمِ
ولا تطع منهما خصمًا ولا حكمـــــــًا فأنت تعرف كيد الخصم والحكمِ"(١)

وعن فضل النصح وسوء الغش الذي هو نقيضه قيل في ذلك شعرًا يمدح النصح فيه ويذم الغش :

"محضتني النصح أحيانًا بلا غش وقلدتني الأنعام والحكما" (٢)

وعن قبول النصح في الإيفاء بالعهد ، قيل شعر في صدر الإسلام :

"ويعلمها خلة لو أنها صدقت في وعدها أو لو أن النصح مقبول" (٣)

وعن الصدق في النصح والوفاء به لغاية النصح قيل :

"وما كل من يبدي المودة ناصح كما ليس كل البرق يصدق خائله
وقد يظهر المقهور أقصى مـــودة وحباله مبثوثة ومناجلـــــــــه" (٤)

وقيل عن الفرق بين الناصح والغاش المبغض الغرور :

"من كان ذا نصيحة نهاكا ومن يكن ذا بغضة أغراكا" (٥)

وعن قبول النصح من القريب حتى ولو كان ذامًا إليك قيل :

"متى يولك المرءُ الغريب نصيحة فلا تقصه وأجب الرفيق وإن ذما
ولا تك ممن قرب العبد شارخـــًا وضيعه إذا صار من كبر همـــا"(٦)

وقيل عن فضل النصح ، وإنه في متناول الجميع فلا تفرط فيه :

---

(١) السقاف ، علوي بن عبد القادر، قراءة في بردة البوصيري، (د.م، ١٤٣٨هـ-٢٠٠٧م) : ١٣.

(٢) ابن سعيد عقيلة ، محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكي (ت١١٥٠هـ/١٧٣٧م) ، الزيادة والإحسان في علوم القرآن ، تح : محمد صفاء حقي وآخرون ، ط١ ، (الشارقة ، مركز البحوث والدراسات ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م) : ٢٠٠/٦ .

(٣) الباقولي ، علي بن الحسين بن علي الأصفهاني (ت٥٤٣هـ/١١٨٤م) ، إعراب القرآن للباقولي، تح : إبراهيم الأبياري ، ط٤ ، (القاهرة ، دار الكتاب المصري ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م) : ٩٤٢/٣.

(٤) ابن درهم ، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت١٢٦٢هـ/١٨٤٥م) ، نزهة الأبصار بطرائف الأخبار، (بيروت ، دار العباد ، د.ت) : ٨٨ .

(٥) قبش، أحمد قبش بن محمد نجيب، مجمع الأمثال والحكم في الشعر العربي، (د.م، د.ت): ٣٥٠/١٠ .

(٦) المصدر نفسه : ٣٤٢/١٠ .

"النصح أقرب ما باع الرجال فلا تردد على ناصح نصحًا ولا تلـمِ
إن النصائح لا تخفى مناهجهـــا على الرجال ذوي الألباب والفهم"[١]

وقيل عن الصبر على النصيحة والناصح مهما كان نصحه قاس ومر :

"وأصبر على مر النصيحة واغتبط بوداد من لا قال بالاحفاظِ
إن تنس ما أجرمت فهو مسطـــر بأكف أملاك لها حفـــاظِ" [٢]

وعن الجهر بالنصح والتحذير منه ، فهو بمثابة الآفة للمنصوح ولا يرجى منه فائدة غير الفضح والتشهير ، قيل :

"آفة النصح أن يكون لجاجا وأذى النصح ان يكون جهارا" [٣]

وقيل عن سوء الجدال للناصح ، فهو آفة إن تحول النصح إلى جدال ، قيل :

"لك نصحي وعليك جدالي آفة النصح أن يكون جدالًا" [٤]

وعن البخل والشح في النصح الذي هو بمثابة الغش ، قيل :

"لا تبخلن بالنصح إن ضؤلـــة بالمرء غش المستشير المجهد
وأجب أخاك إذا استشارك ناصحًا وعلى أخيك نصيحة لا تـــردد" [٥]

وقيل عن سلامة النصح وان ليس كل ناصح كامل الأوصاف فيجب التروي والحذر عند أخذ النصح :

"فما كل ذي نصح بمؤتيك نصحه ولا كل مؤت نصحه بلبيبِ
ولكن إذا ما استجمعا عند واحـــدٍ فحق له من طاعة بنصيبِ" [٦]

---

(١) المهدي ، حسين بن محمد القاضي ، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم، (اليمن ، وزارة الثقافة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٩م) : ٦٤/٢ .

(٢) قبش ، مجمع الأمثال والحكم : ١١٨/١ .

(٣) شوقي ، أحمد بن علي بن أحمد شوقي ، أسواق الذهب ، (مصر ، مطبعة الهلال ، ١٣٥١هـ-١٩٣٢م) : ١٣٠ .

(٤) شوقي ، أسواق الذهب : ١٣٠ .

(٥) الخراز ، خالد بن جمعة بن عثمان ، موسوعة الأخلاق ، ط١ ، (الكويت ، مكتبة أهل الأثر ، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م) : ٧١/٢ .

(٦) الشاطبي ، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى (ت٧٩٠هـ/١٣٨٨م) ، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية ، تح : عبد الرحمن بن سليمان وآخرون ، ط١ ، (مكة المكرمة ، معهد البحوث العلمية واحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى،١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م) : ٢٦٨/٤.

وقيل ان من ينصح يجب ان يتابع من ينصحه ، لا أن يلقي كلامه ويحيد عنه تاركًا له ، بل يتابعه حتى يرى نتيجة نصحه ويقطف ثماره :

"من الناس من أن يستشيرك فتجتهد له الرأي يستغششك ما لم تتابعه
فلا تمنحن الرأي من ليس أهلـــــــه فلا أنت محمود ولا الرأي نافعــه" (١)

وقيل في ذلك :

"ولا ترقد النصح من ليس أهله وكن حين تستغني برأيك غانيًا
وإن امرأً يومًا تولى برأيـــــــه فدعه يصيب الرشد أويك غاويًا" (٢)

فيما تقدم كانت هذه شذرات ونماذج عن ما قيل من شعر عربي بحق النصح والناصحين وكيفيته وأغراضه والفائدة منه وأهميته قبل الإسلام ، وبعده على مدى عصور الدولة العربية الإسلامية .

---

(١) المستعصمي ، محمد بن ايدمر (ت٦٣٩هـ/١٢٤١م) ، الدر الفريد وبيت القصيد ، تح : كامل سلمان الجبوري، ط١ ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م) : ١٧١/٨ ؛ الأبشيهي ، المستطرف : ٨٩ .

(٢) الخراز ، موسوعة الأخلاق : ٧١/٢ .